

هَلْ ثَمَّةُ طَرِيقٍ إِلَى الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ؟  
كِتَابٌ فَرِيدٌ فِي بَابِهِ

تأليف

فضيلة الأستاذ خالد البغدادي

من إصدارات

مركز الدلائل العقائدي

# الدليل العقائدي

الكتاب: هل ثمة طريق إلى الفرقة الناجية؟

التأليف: فضيلة الأستاذ خالد البغدادي

الناشر: مركز الدليل العقائدي

التصميم والخراج: صفاء الشمري

سنة الطبع: ١٤٤٢ هـ / ٢٠٢١ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## تمهيد

### بسم الله الرحمن الرحيم

ثبت في مصادر الفريقين أنّ النبي ﷺ قال: «تفرق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلّها في النار إلا واحدة»<sup>(١)</sup>.

فممن صرح بتواتر الحديث المذكور من علماء أهل السنة فضلا عن القائلين بصحّته، السيوطي، كما في «فيض القدير»، والكتاني في «نظم المتناثر من الحديث المتواتر»<sup>(٢)</sup>، ومن علماء الشيعة صرح بتواتره الحرّ العاملي في كتابه «الفصول المهمّة»، والمجلسي في «روضة المتقين»<sup>(٣)</sup>.

ولا نريد هنا التعرّض لما ذكره الطاعنون بسند الحديث من الفريقين، فقد كفانا مؤونة الردّ عليهم من أهل السنة كبار علماء الحديث عندهم كالشيخ الألباني الذي قطع بصحّة الحديث وصرّح أنّه محل اتفاق الكثير من علماء أهل السنة قديماً وحديثاً، في موارد متعدّدة من كتبه، كالسلسلة الصحيحة، وفي تحقيقه لكتاب السنة

(١) أخرجه أبو داود، وابن ماجّة، وأحمد، والهيثمي، وابن أبي عاصم، والسيوطي، وابن حجر، والتبريزي، والألباني.. وغيرهم، وهو حديث مشهور ومتفق على صحّته كما يقول ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٣: ٣٤٥، والألباني في السلسلة الصحيحة ١: ٤٠٩.

(٢) فيض القدير ٢: ٢٧، نظم المتناثر من الحديث المتواتر: ٤٧.

(٣) الفصول المهمّة في أصول الأئمة (ع) ١: ٤٤٨، روضة المتقين ٨: ٢٢٥.

لأبن أبي عاصم<sup>(١)</sup>، ومن الشيعة يكفيننا وروده ببعض الطرق المعتمدة، كما في «الكافي»<sup>(٢)</sup>، فضلا عن تصريح جملة من علمائهم بتواتر الحديث واستفاضته في كتبهم<sup>(٣)</sup>، فهذا الحديث من الأحاديث القليلة التي اتفق عليها علماء الفريقين بهذا الشكل، وحديث بهذه المثابة لا يمكن تجاوزه بأي حال من الأحوال.

أمّا المتن فقد حاول البعض ردّ الحديث بسبب اختلاف ألفاظه من حيث بيان عدد الفرق؛ إذ بعض طرقه تشير إلى أن عدد الفرق المفترقة هو سبعون فرقة، وبعضها: إحدى وسبعون فرقة، وبعضها: ثلاث وسبعون فرقة، وبعضها: اثنتان وسبعون فرقة<sup>(٤)</sup>، وبعضها يجعل الفرق الهالكة فرقة واحدة والبقية كلّها في الجنة<sup>(٥)</sup> والبعض الآخر يعكس الأمر بأن تكون الفرق كلّها في النار والناجية منها واحدة<sup>(٦)</sup>.

وفي الردّ على هذه الدعاوى نقول: قد تكفل علماء الحديث بمتابعة هذه الطرق التي وردت فيها هذه الألفاظ، وبيّنوا بشكل واضح وصريح عدم صحّة ما ورد من اختلاف فاحش فيها كلفظ: «كلّها في الجنة إلّا واحدة»، الذي نصّوا على ضعف طرقه بل حكموا بوضعه

(١) انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة ١: ٤٠٨، وكتاب السنّة لابن أبي عاصم، تحقيق الشيخ الألباني ١: ٣٢.

(٢) الكافي ٨: ٢٢٤، وانظر: مرآة العقول ٢٦: ١٥٣.

(٣) راجع إضافة لما ذكرناه سابقا: نور البراهين للجزائري ١: ٦٠، وبحوث في الملل والنحل للسبحاني ١: ٤٠.

(٤) كما يذكر هذه الطرق ابن أبي عاصم في كتابه السنّة، ص ٣٢، بتحقيق الألباني.

(٥) فيما رواه العقيلي في ضعفائه ٤: ٢٠١.

(٦) كما يرويه أحمد في مسنده ٣: ١٢٠، ويرويه غيره.

واختلاقه<sup>(١)</sup>، وصّرحوا بأنّ اللفظ الصحيح هو: «كلّها في النار إلاّ واحدة»<sup>(٢)</sup>، أمّا الاختلاف اليسير في بيان عدد الفرق فهذا لا يضرّ بعد اتفاق الحديث - على مختلف طرقه الصحيحة - على وجود الافتراق في الأمّة وأنّ الناجية هي فرقة واحدة فقط.

وأما الطاعنون في الدلالة بأنّ الحديث لا يمكن قبوله لما يؤدي من التناحر والتباغض بين أبناء الأمّة الواحدة وتكفير بعضهم لبعض وهو مخالف للوحدة الإسلامية المطلوبة، فضلا عن إشكال الخلود في النار المنافي لما عليه إجماع المسلمين بأنّه لا يخلد في النار سوى الكافرين والمشركين.

نقول: حصول الاختلاف في الأمّة بعد النبيّ ﷺ هو أمر واقع محسوس وملموس، حتّى عدّ بعض علماء أهل السنّة الحديث المذكور من معجزاته ﷺ؛ لأنّه وقع ما أخبر به من تفرّق الأمّة إلى فرق متعدّدة بعدما كانت في زمانه على عقيدة واحدة وطريقة واحدة إلاّ من كان يبطن النفاق ويظهر الوفاق<sup>(٣)</sup>، فالإخبار عن حصول الافتراق في الأمّة بعد وفاته ﷺ لا ينافي الواقع مطلقاً، بل هو إخبار عن واقع يدركه الجميع<sup>(٤)</sup>، فيكون بيان التفرّق والتحذير منه - بلحاظ أنّ جملة

(١) صرح بوضعه ابن الجوزي في الموضوعات ١: ٢٦٨، وابن تيمية الذي قال عنه موضوع باتفاق أهل العلم فيما ينقله عنه الكتاني في «نظم المتناثر»: ٤٧.

(٢) راجع: سلسلة الأحاديث الصحيحة ١: ٤٠٩.

(٣) راجع: المواقف للأبيجي ٣: ٦٤٩.

(٤) وليس الحديث المذكور هو الحديث الوحيد في بيان تفرّق الأمّة إلى فرق مختلفة، بل توجد أحاديث غيره كثيرة، منها هذا الحديث الذي يرويه أحمد وأبو داود أنّ النبيّ ﷺ قال: «إِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَىٰ اخْتِلَافًا كَثِيرًا»، مسند أحمد ١٢٦: ٤، وصحيح أبي داود للألباني (٤٦٠٧).

منه يؤدي إلى النار - من وظائفه ﷺ التي نصّ القرآن عليها بأنّه مبعوث للعالمين بشيراً ونذيراً، أي يبشرهم بالجنة وينذرهم العذاب والنار، والحديث المذكور لا ينافي الوحدة الإسلامية المطلوبة مطلقاً ولا يخلّ بالتعايش السلمي بين المسلمين، فكما توجد ضوابط جعلها الإسلام في التعايش بين المسلمين وغيرهم من أهل الديانات والملل الأخرى مع الحكم الصريح بكفرهم، كذلك الحال بين المسلمين توجد جملة من الضوابط الشرعية التي ذكرها القرآن الكريم والسنة الشريفة توجب التعايش السلمي بينهم وتحرم دمائهم وأموالهم وأعراضهم على اختلاف فرقهم، والتي منها حديث الفرقة الناجية نفسه الذي يعدّ من الأدلة على ذلك حين نصّ على إسلام جميع المفرقين فاعطاهم حصانة الإسلام من هذه الناحية، فالحديث نسب المفرقين إلى أمّة محمد ﷺ بقوله: «تفرق أمتي»، فهؤلاء المفرقون كلّهم مسلمون؛ لأنّ الكافر لا يصحّ أن يقال فيه أنّه من أمّة محمد ﷺ، ومن هنا نجد البعض يقول بشكل واضح وصريح بأنّ تكفير أيّ فرقة من الفرق الثنتين والسبعين لمن كان يرى نفسه أنّه هو الفرقة الناجية مخالف للكتاب والسنة وإجماع الصحابة وإجماع أئمة المذاهب الأربعة بل وغير الأربعة.

قال ابن تيمية في كتابه «مجموع الفتاوى»: «ومن قال: إن الثنتين وسبعين فرقة كلّ واحد منهم يكفر كفراً ينقل عن الملة، فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، بل وإجماع الأئمة الأربعة وغير الأربعة، فليس فيهم من كفر كلّ واحد من الثنتين

وسبعين فرقة»<sup>(١)</sup>. انتهى

فالحديث المذكور لا يحدّ على التقاطع والتدابير بين المسلمين أو تكفير بعضهم بعضاً - كما يحاول البعض تصويره - بل هو يعطي الحصانة للمفترقين على مختلف اتجاهاتهم، كما يحدّ في الوقت نفسه على التدبّر والتفكّر والسعي الحثيث في تقصي الحقيقة وعدم الركون للظنّ والأهواء في مسائل الدين والعقيدة، وهذا من موارد القوة للأمة حين ينبّه على اليقظة والحذر من متابعة أهل البدع والأهواء الذين يريدون السوء للأمة وحرّفها عن مسارها الصحيح.

ولعلّ البعض يذهله كثرة الهالكين وقلّة الناجين في هذه الأمة بمقتضى الحديث المذكور، أو يقول هذه الأمة هي خير أمة أخرجت للناس فكيف تكون أكثر فرقها في النار والناجية منها واحدة؟! ولهذا البعض نقول: هاهو القرآن الكريم أمامك تصفحه بموضوعية تجده يذمّ الكثرة غالباً ويمدح القلّة وكأنّه يشير إلى حقيقة خارجية مطردة بأنّ الكثرة بما هي كثرة لا تشكّل عنواناً للحقّ بل الواقع على خلافها غالباً.

فانظر إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) مجموع الفتاوى ٧: ٢١٨.

(٢) الرعد: ١، هود: ١٧، غافر: ٥٩.

(٣) يوسف: ١٠٣.

وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿فَأَبَى أَكْثَرَ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾<sup>(٢)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾<sup>(٣)</sup>... إلى غيرها من الآيات الكثيرة التي وردت بدمّ الكثرة وعدم اعتبارها معياراً للحق. وانظر إلى الجانب الآخر من القرآن الكريم في مدحه للقلّة والثناء عليها:

يقول تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾<sup>(٤)</sup>.

ويقول تعالى: ﴿وَمَا أَمِنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾<sup>(٥)</sup>.

ويقول تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا﴾<sup>(٦)</sup>.

ويقول تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾<sup>(٧)</sup>.

ويقول تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا

(١) غافر: ٦١، يوسف: ٣٨، البقرة: ٢٤٣.

(٢) الإسراء: ٨٩، الفرقان: ٥٠.

(٣) المؤمنون: ٧٠، الزخرف: ٧٨.

(٤) سبأ: ١٣.

(٥) هود: ٤٠.

(٦) النساء: ٦٦.

(٧) النساء: ٦٦.

هُم ﴿١﴾... إلى غيرها من الآيات الواردة في مدح القلّة والثناء عليها..  
فهذه الدعوى بأنه كيف تكون الكثرة هالكة والقلّة هي الناجية لا  
محصل علمي لها.

وأما الكلام عن خيرية الأمّة فنحن نسلّم بأنّ هذه الأمّة هي  
خير أمّة أخرجت للناس، كما ذكر القرآن الكريم ذلك، لكن هذه  
الخيرية مشروطة باستمرارهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،  
كما تنصّ عليه الآية الشريفة: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ  
بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ﴾<sup>(٢)</sup>، فإذا تركوا الأمر  
بالمعروف والنهي عن المنكر زالت عنهم صفة الخيرية هذه، وبهذا صرح  
مفسّروا القرآن الكريم، قال القرطبي في تفسيره: «﴿تَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ  
وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ﴾ مدح لهذه الامّة ما اقاموا ذلك واتصفوا به، فإذا  
تركوا التغيير وتواطئوا على المنكر زال عنهم اسم المدح ولحقهم اسم  
الذمّ، وكان ذلك سببا لهلاكهم»<sup>(٣)</sup>.

نعم، قد يورد البعض الاعتراض على دلالة الحديث بدخول  
هذه الفرق للنار بأنّه إن كان المقصود منه الخلود فيها فهو مناف لما  
عليه إجماع المسلمين بأنّه لا يخلد في النار سوى الكفّار والمشرّكين،  
وهذه الفرق المفرقة هي فرق إسلامية لما ورد في الحديث من نسبتها  
إليه صلّى الله عليه وآله وسلّم، وإن كان المقصود منه هو دخول مؤقت للنار، فهذا الأمر  
لا تختلف فيه الفرق الإسلامية عن بعضها البعض بعد الاتفاق على

(١) ص: ٢٤.

(٢) آل عمران: ١١٠.

(٣) تفسير القرطبي ٤: ١٧٣، وانظر ابن كثير في تفسيره تجده يفسرها كما فسرها القرطبي.

دخول العصاة من أيّ فرقة كانت للنار، فهذا الحديث لا يمكن قبوله لمنافاته لما هو مجمع عليه من هذه الناحية.

وفي الجواب على هذا الكلام نقول: دعوى أنّه لا يخلد أحد من المسلمين في النار هي ليست محلّ إجماع بين المسلمين، فالمعتزلة على سبيل المثال ذهبوا إلى خلود مرتكب الكبيرة في النار<sup>(١)</sup>، والمنافق - الذي هو مسلم جزماً في الدنيا وتجري عليه أحكام الإسلام ظاهراً - صرح القرآن الكريم بأنّه من الخالدين في النار؛ لأنّ حكم الآخرة يختلف عن حكم الدنيا، ففي الآخرة يكون الحساب على البواطن لا على الظواهر، يقول تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>، هذا فضلاً عن أنّ الحديث الشريف لم يتعرّض إلى مسألة الخلود وعدمه في النار، بل قال إنّ هناك فرقا من فرق المسلمين تكون في النار وفرقة تكون في الجنة، ولا نعلم أنّ الكون المذكور في النار هل هو على نحو الخلود والتأيد أم على نحو مؤقت، فلعلّ هذه الفرق تدخل النار لفترة مؤقتة نتيجة لما ابتدئته من بدع خالفت فيها الله ورسوله ﷺ - وليس لما اقترفته من معاصي - ثمّ تخرج بعد ذلك، فالموجب لدخول النار الذي يتعرّض له الحديث المذكور يختلف عن دخول أهل المعاصي، أمّا أمر الخلود وعدمه فهو مسكوت عنه ولا يصحّ جعله عائقا - من ناحية منهجية - أمام تقبّل الحديث.

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار: ٦٩٦.

(٢) التوبة: ٦٨.

وبعد هذه الإمامة السريعة بما اعترض على الحديث من ناحية  
السند والمتن والدلالة، نشير إلى هاتين النقطتين:

**الأولى:** أن قوله صلى الله عليه وآله في الحديث: «تفرق أمتي» حين نسب جميع  
المفترقين إليه صلى الله عليه وآله يفهم منه أن كل هؤلاء المفترقين هم من المسلمين  
كما تقدم بيانه، ومن المعلوم أن الشخص لا يكون مسلماً حتى يكون  
مقراً بالتوحيد والنبوة والمعاد، ومقراً بالضروري من أمور الإسلام  
كوجوب العبادات والقرآن الكريم ونحوها، الأمر الذي يستفاد منه  
بأن النجاة من النار لا تدور مدار الإقرار بالتوحيد، ولا النبوة، ولا  
المعاد، ولا الإقرار بالضروري من أمور الإسلام فقط، وإلا فكل الفرق  
تشمّل على ذلك!!

**وبعبارة ثانية:** يستفاد من ظاهر الحديث من خلال نسبة المفترقين  
إليه صلى الله عليه وآله، أن مدار النجاة لا يدور بما يثبت إسلامهم من الإقرار  
بالتوحيد ونحوه، على أهمية هذه الأمور، بل يدور على شيء آخر  
معها.. فما هو هذا الشيء!!؟

هذا ما سنعرفه من البحث الذي بأيدينا بإذن الله تعالى.

مع ملاحظة أذكرها هنا بأن كلمة (فرقة) الواردة في نصوص  
الحديث تشير إلى أن الخلاف بين المفترقين يشتمل على أمور عقدية  
ومسائل كلية تتفرع منها جزئيات كثيرة، وإلا فالخلافات الفرعية  
الفقهية لا تصير المختلفين فرقا بل مذاهباً، ومن هنا قال الإمام  
الشاطبي في «الاعتصام»: «هذه الفرق إنما تصير فرقا بخلافها للفرقة

الناجية في معنى كليّ في الدين، وقاعدة من قواعد الشريعة، لا في جزئي من الجزئيات؛ إذ الجزئي والفرع الشاذ لا ينشأ عنه مخالفة يقع بسببها التفرق شيعاً، وإنما ينشأ التفرق عند وقوع المخالفة في الأمور الكلية؛ لأنّ الكليات تقتضي عدداً من الجزئيات غير قليل، وشاذها في الغالب لا يختصّ بمحلّ دون محل، ولا بباب دون باب»<sup>(١)</sup>. انتهى

الثانية: قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (أمّتي) يكشف على أنّ جميع المختلفين والمفرقين هم من المسلمين كما تقدّم بيانه في النقطة الأولى، وقوله: «كلّها في النار إلا واحدة» يكشف على أنّ موضوع النجاة إنّما يتعلق بالآخرة فقط، أمّا في الدنيا فالجميع مسلمون تحرم دمائهم وأموالهم وأعراضهم بحرمة الإسلام.

وبلحاظه نقول: نحن في هذا البحث العلمي الذي جئنا نتلمس فيه الطريق إلى الفرقة الناجية من فرق المسلمين لا نكفر أحداً من المسلمين ولا نخرجه عن ملّة الإسلام، فالحديث صريح في نسبة المختلفين كلّهم إلى الإسلام، وإنّما البحث والكلام هو في المصير الآخروي لا غير، لأنّ الفرقة الناجية هي فرقة واحدة فقط حسب هذا الحديث المتواتر.. فهل ثمة طريق إلى هذه الفرقة الناجية؟!!

أقول: تابعوا معي أعزائي الطريق إلى الفرقة الناجية من خلال خطوات ثلاث نخطوها فقط في الوصول إلى هذه الفرقة بإذن الله تعالى:

## الخطوة الأولى في البحث

أول خطوة نخطوها للوصول إلى الفرقة الناجية من فرق المسلمين هي أن نطرح هذا السؤال ونحاول الإجابة عليه، والسؤال هو: هل ثمة بيانات نبوية ترشدنا إلى هذه الفرقة الناجية أو لا توجد مثل هذه البيانات؟!

والوجه في طرح السؤال المذكور أنّ الحديث المتقدّم قد صدر من جهة معينة، وهي النبيّ الأقدس ﷺ، وبالتالي تكون هذه الجهة هي المعنيّة بالدرجة الأولى ببيان ما أجمل من أحاديثها؛ إذ المتكلّم تارة يذكر معنى مجملا في كلامه ثمّ يبيّنه في مقام آخر، وهذه الطريقة شائعة في خطابات القرآن الكريم، كما هي شائعة في أحاديث رسول الله ﷺ.

قد يقول قائل بأنّه قد ورد في الحديث نفسه فقرات تجيب على هذا السؤال، نحو ما رواه أحمد في مسنده: «قالوا يا رسول الله من تلك الفرقة؟ قال: الجماعة»<sup>(١)</sup>، وأيضا ما ورد: «قال من هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي»<sup>(٢)</sup>.

(١) مسند أحمد ٣: ١٥٤.

(٢) سنن الترمذي ٤: ١٥٣.

## تفسير الفرقة الناجية بـ (الجماعة) لا يعطي معنى حاسماً في الموضوع

نقول: هذه الفقرات لا تبيّننا بشكل واضح وقطعي عن المراد، فالفقرة الأولى مثلاً: (الجماعة)، ما المراد بها؟! هل المراد بها الكثرة بما هي كثرة، فهذا لا يمكن المصير إليه لما تقدّم بيانه من ذمّ الكثرة ومدح القلّة في القرآن الكريم، أو المراد بها كما يقول الترمذي بأنّ تفسير الجماعة عند أهل العلم، هم: أهل الفقه والعلم والحديث<sup>(١)</sup>.

وهذا المعنى عائم لا يمكن تطبيقه في المقام لأنّ أهل الفقه والعلم والحديث يختلفون فيما بينهم في الكثير من المسائل الفقهية والرجالية والحديثية ممّا لا يمكن معه الإحالة عليهم كلّهم، والأخذ ببعض دون بعض من دون ضوابط من الترجيح بلا مرجح، فضلاً عن أنّ الاختلافات بين هذه الفرق هي خلافات عقدية وليست فقهية - كما أشار إليه الشاطبي سابقاً-، فلا معنى للإحالة على أهل الفقه في موردنا، فضلاً عن أنّ هذه العناوين (أهل الفقه والعلم والحديث) هي عناوين مطردة عند الجميع؛ إذ يمكن لجميع المفرّقين أن يدّعوها لأنفسهم ويقولوا نحن أهل الفقه والعلم والحديث فنحن الجماعة ونحن الفرقة الناجية، وبالتالي لن نجد جواباً أو حلاً حاسماً للموضوع في المقام.

(١) سنن الترمذي، باب ما جاء في لزوم الجماعة، الحديث ٢٠٩٣.

أو يكون المراد بالجماعة ما وافق الحق ولو كنت وحدك، فيما يرويه ابن عساكر عن ابن مسعود بسند صحيح كما يصرح به الشيخ الألباني<sup>(١)</sup>.

وفي هذا الجانب يقول ابن القيم في «إعلام الموقعين»: ((اعلم أن الإجماع والحجة والسواد الأعظم هو العالم صاحب الحق، وإن كان وحده، وإن خالفه أهل الأرض، قال عمرو بن ميمون الأودي: صحبت معاذاً باليمن، فما فارقتُه حتى واريته في التراب بالشَّام، ثمَّ صحبتُ من بعده أفقه الناس: عبد الله ابن مسعود، فسمعتُه يقول: «عليكم بالجماعة، فإنَّ يد الله مع الجماعة»، ثمَّ سمعتُه يوماً من الأيام وهو يقول: «سيولى عليكم ولادة يؤخرون الصلاة عن مواقيتها، فصلّوا الصلاة لميقاتها؛ فهي الفريضة، وصلّوا معهم فإنّها لكم نافلة»، قال: قلت: يا أصحاب محمّد! ما أدري ما تحدّثون، قال: وما ذاك؟ قلت: تأمرني بالجماعة وتحضني عليها ثمَّ تقول لي: صلّ الصلاة وحدك وهي الفريضة، وصلّ مع الجماعة وهي نافلة، قال: «يا عمرو بن ميمون قد كنتُ أظنُّك من أفقه أهل هذه القرية، أتدري ما الجماعة؟» قلت: لا قال: «إن جمهور الجماعة هم الذين فارقوا الجماعة، الجماعة ما وافق الحقَّ وإن كنتَ وحدك» ((<sup>(٢)</sup>.

وهذا المقدار من تفسير (الجماعة) لا ينفعنا في المقام أيضاً؛ إذ يبقى المعنى مجملاً ويبقى ادّعاء الموافق للحقّ دعوى لكلّ المتنازعين من

(١) حاشية مشكاة المصابيح ١: ٦١.

(٢) اعلام الموقعين ٣: ٣٠٨.

الفرق، ومعه لن نجد حلاً حاسماً لمادة النزاع في المقام، وبالتالي فالفقرة المذكورة من الحديث وهي لفظة: (الجماعة) لا تنفعنا كثيراً في تعيين الفرقة الناجية بشكل واضح ومحدد<sup>(١)</sup>.

(١) أمّا الدعوى من البعض بأن المراد من فقرة «الجماعة» هو مذهب أهل السنة والجماعة، فهي دعوة باطلة لا صحة لها؛ لأنّ هذا الاسم (أهل السنة والجماعة) ظهر متأخراً عن الأحاديث النبوية ولم يثبت صدوره عن النبي ﷺ بسند صحيح (ذكر صاحب كتاب «أهل السنة والجماعة: النشأة، الأهداف، المنهج» الدكتور صالح الدخيل، ص ٦١: أنّ لقب أهل السنة والجماعة إنما ظهر في أواخر أيام الصحابة)، فضلاً عن تفرّق أهل السنة والجماعة إلى فرق متعدّدة، فمن هي الفرقة الناجية فيهم؟ هل هي فرقة الاشاعرة، كما يقول الأيجي في "المواقف" ص ٤٢٩، والحال هي فرقة ضالة = ومبتدعة عند السلفية (كما في: الدرر السنيّة في الاجوبة النجدية ٣: ٢١٠، ١١٢)، أم هي مطلق فرق أهل السنة والجماعة، كما يقول المناوي في «فيض القدير» ج ٢ ص ٢٠، والحال أنّ هذه الفرق يضلّل بعضهم بعضاً، انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٥: ٥٥٢، ولاحظ تضليل الإمام مالك لأبي حنيفة، وانظر سير أعلام النبلاء ١٧: ٦٢٥ في تكفير أبي حاتم لمن ليس حنبلياً، وانظر: معالم المنهج السلفي - للألباني - ٣٦، في تكفير الحنفية للشافعية، وهكذا تجد غيرها الكثير الكثير.

## فقرة (ما أنا عليه وأصحابي) لا تحسم الموضوع أيضاً

أمّا الفقرة الأخرى: «ما أنا عليه وأصحابي»، فهي ليست بأحسن حال من سابقتها من حيث الإجمال والإبهام، فالذي كان عليه النبي ﷺ وأصحابه حال حياته الشريفة هو طريقة واحدة وعقيدة واحدة، ولكن المشكلة هي في الخلافات التي حصلت بعد وفاته والتي فرّقت الأمة إلى فرق وطوائف والتي كان للصحابة دور فيها بحيث بلغ الخلاف بينهم إلى حدّ السبّ والشتم والاقتيال ووردت أحاديث صحيحة صريحة بأنّ هذا الخلاف الحاصل بينهم فيه ما يؤدي إلى الجنة وفيه ما يؤدي إلى النار، كما هو مضمون حديث الفئة الباغية الذي يرويه البخاري في صحيحه عن مقتل الصحابي الجليل عمّار بن ياسر (رضوان الله عليه)<sup>(١)</sup>.

وعليه؛ فإن كان المراد من هذه الفقرة هو التمسك بما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه حال حياته الشريفة فهذا معناه الالتزام بأحاديثه الصادرة عنه والمتفق عليها بين المسلمين جميعهم في بيان الناجين، وهو ما سنسلكه في هذا البحث إن شاء الله تعالى.

(١) قال النبي ﷺ: (ويح عمّار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار)، صحيح البخاري ١: ١١٥، باب التعاون في بناء المسجد، ٣: ٢٠٧، باب مسح الغبار عن الناس في السبيل.

وأما إذا كان المراد التمسك بما كان عليه الصحابة من بعده صلوات الله عليه وآله مطلقاً فهذا لا يمكن المصير إليه لمحلّ الخلاف المشار إليه بينهم.. فمن نتبع ومن نترك، خاصة على عقائد بعض الفرق التي ترى عدالة الجميع؟!!

ومن هنا نقول، وحتى نصل إلى نتيجة قطعية وواضحة في المقام، لا مناص لنا من التمسك بأحاديث رسول الله صلوات الله عليه وآله الصحيحة والصريحة في بيان الناجين، والتي هي محلّ إجماع الفرق الإسلامية كلّها من حيث السند والدلالة، وإلا فالتمسك بأحاديث خاصة ترد عند فرقة دون أخرى في ادّعاء النجاة والفوز يوم القيامة هي طريقة فاشلة علمياً وعملياً لما فيها من جنبه الدور المنطقي<sup>(١)</sup>، والدور لا يعطي نتائج قطعية في الأمور الخلافية بل يزيد الوهم أو هاماً عند صاحبه.

وهنا نعود إلى سؤالنا السابق الذي بدأنا به هذه الخطوة من البحث ونقول: هل ثمة بيانات نبوية صحيحة صريحة متفق عليها تبين لنا سبيل النجاة من بعده صلوات الله عليه وآله بين هذه الفرق، أو لا توجد مثل هذه البيانات؟!!

الجواب: نعم، توجد عدّة بيانات نبوية معتبرة بل متواترة ترشدنا إلى الفرقة الناجية. وأهم هذه البيانات هو حديث الثقلين الوارد فيه: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلّوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله، جبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي

(١) المراد بالدور في الاصطلاح (عند أهل المنطق): توقّف الشيء على نفسه، ومثاله أن تقول: فلان صادق؛ لأنّه هو قال: إنّه لا يكذب.

ولن يتفرّقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»<sup>(١)</sup>.  
فهذا الحديث ينصّ على أنّ المتمسّك بالكتاب والعترة لن يضلّ  
بعد رسول الله ﷺ أبداً، فلنتابع هذا الحديث الشريف من حيث  
السند والدلالة.

(١) مختصر صحيح الجامع الصغير للسيوطي والألباني، رقم الحديث ١٧٢٦ ٢٤٥٨، وصحيح  
سنن الترمذي ٣: ٥٤٣ برقم: ٣٧٨٨.

## تواتر حديث الثقلين عند الفريقين

أمّا من حيث السند فقد نصّ على تواتره ابن حجر الهيتمي في «الصواعق المحرقة» حين قال: «ثمّ اعلم أنّ لحديث التمسك بذلك طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابياً ومرّ له طرق مبسوطة في حادي عشر الشبهه، وفي بعض تلك الطرق أنّه قال ذلك بحجّة الوداع بعرفة، وفي أخرى أنّه قاله بالمدينة في مرضه وقد امتلأت الحجرة بأصحابه، وفي أخرى أنّه قال ذلك بغدير خمّ، وفي أخرى أنّه قاله لما قام خطيباً بعد انصرافه من الطائف كما مرّ، ولا تنافي إذ لا مانع من أنّه كرّر عليهم ذلك في تلك المواطن وغيرها اهتماماً بشأن الكتاب العزيز والعترة الطاهرة»<sup>(١)</sup> انتهى.

والحديث المذكور صحّحه على اختلاف طرقه الكثير من جهابذة الحديث عند أهل السنّة أمثال ابن حجر العسقلاني وابن كثير والطحاوي والحاكم والذهبي والبوصيري والألباني وشعيب الأرنؤوط وغيرهم<sup>(٢)</sup>.

(١) الصواعق المحرقة ٢: ٤٣٩.

(٢) انظر على الترتيب: المطالب العالية ٤: ٦٥ برقم ٣٩٧٢، تفسير ابن كثير ١٢: ٢٧١، شرح مشكل الآثار ٥: ١٨، المستدرک على الصحيحين ٣: ١٤٨، تلخيص المستدرک للذهبي، تحاف الخيرة المهرة ٩: ٢٧٩، مختصر صحيح الجامع الصغير للسيوطي والألباني، رقم الحديث ١٧٢٦ ٢٤٥٨، مسند أحمد - صحيح الأرنؤوط - حديث رقم ١١١٠٤.

ويمكن متابعة بعض هذه الطرق في السلسلة الصحيحة للشيخ الألباني، الجزء الرابع، حيث يورده عن العديد من الصحابة وفي بعضها بأكثر من طريق عن صحابي واحد، وقد صرح علماء أهل السنة بأن الحديث يكون متواتراً إذا رواه عشرة من الصحابة فقط، كما نصّ على ذلك السيوطي<sup>(١)</sup>، فما بالك بحديث يكون رواه أكثر من عشرين صحابياً كما يشير إليه ابن حجر في كلامه المتقدّم؟!!

ومن الشيعة ممن نصّ على تواتره الحرّ العاملي في «الوسائل» ومير حامد الهندي في «العقبات» والطباطبائي في «الميزان» وغيرهم<sup>(٢)</sup>، وصرّح بعضهم بأن رواه من الصحابة قد زادوا على الثلاثين صحابياً<sup>(٣)</sup>.

ومن المعلوم أنه إذا ثبت تواتر حديث ما لكثرة طرقه فإنه لا يلتفت بعدها إلى ضعف رواه بأيّ شكل من الأشكال ما لم يكن فيهم كذاب أو وضاع، وهذا مطلب واضح يعرفه كلّ من درس كتاباً واحداً في علم الحديث.

قال الشيخ الألباني في «سلسلة الأحاديث الضعيفة»:

«لا يشترط في الحديث المتواتر سلامة طرقه من الضعف؛ لأنّ ثبوته إنّما هو بمجموعها، لا بالفرد منها»<sup>(٤)</sup>. انتهى

وقال ابن تيمية في «مجموع الفتاوى»:

(١) انظر: شرح المهذب للنووي ١٩: ٢٣٢.  
 (٢) انظر: وسائل الشيعة ١٨: ١٩، نفحات الأزهار في خلاصة عقبات الأنوار ١: ١٨٥، تفسير الميزان ٣: ٣٧٩.  
 (٣) راجع: حديث الثقلين، تواتره، فقهه للسيد الميلاني: ٤١.  
 (٤) سلسلة الأحاديث الضعيفة ٣: ٣٩٣.

«فإن تعدّد الطرق وكثرتها يقوي بعضها بعضاً حتّى قد يحصل العلم بها ولو كان الناقلون فسّاقاً فكيف إذا كانوا علماء عدولاً ولكن كثر في حديثهم الغلط»<sup>(١)</sup>. انتهى



## حديث الثقلين بلفظ (التمسك) و(الإتباع) و(الأخذ)

ومع ذلك سنورد هنا جملة من أعلام أهل السنة ممن صحح حديث الثقلين بلفظ: (التمسك) و(الإتباع) و(الأخذ).

جاء في «صحيح سنن الترمذي»: حدثنا علي بن المنذر الكوفي، حدثنا محمد بن فضيل حدثنا الأعمش عن عطية عن أبي سعيد، والأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن زيد بن أرقم رضي الله عنهم قالوا: قال رسول الله ﷺ: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما». انتهى

قال الألباني معلقاً على الحديث: ((صحيح: المشكاة: ٦١٤٤، الروض النضير: ٩٧٧-٨٧٨، الصحيحة: ٤: ٣٥-٣٥٧))<sup>(١)</sup>.

وصحّحه أيضاً ابن حجر الهيتمي في كتابه «الصواعق المحرقة»، بقوله: ((صحّ أنه ﷺ قال: إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي))<sup>(٢)</sup>.

وقال في المصدر نفسه: ((وفي رواية صحيحة: «إني تارك فيكم أمرين لن تضلوا إن اتبعتموهما، وهما كتاب الله وأهل بيتي عترتي».

(١) صحيح سنن الترمذي ٣: ٥٤٣، برقم: ٣٧٨٨.

(٢) الصواعق المحرقة ٢: ٤٢٨.

زاد الطبراني: إني سألت لهما فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنها فتهلكوا، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم...»<sup>(١)</sup>.

وفي المنتخب من مسند عبد بن حميد صرح محقق المسند العلامة العدوي عند رواية الحديث في مسند زيد بن ثابت بأن الحديث بلفظ «تمسكتم» صحيح لغيره<sup>(٢)</sup>.

ورواه بسند رجاله ثقات أيضاً يعقوب بن سفيان الفسوي في كتابه «المعرفة والتاريخ»، قال: ((حدثنا يحيى قال: حدثنا جرير عن الحسن بن عبيد الله عن أبي الضحى عن زيد بن أرقم قال: قال النبي ﷺ: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله عز وجل وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»<sup>(٣)</sup>). انتهى

وممن صحح الحديث المذكور بلفظ (أخذتم): ابن حجر العسقلاني في كتابه «المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية» في باب فضائل الإمام عليّ عليه السلام عن عليّ قال: إن النبي ﷺ حضر الشجرة بخم، ثم خرج أخذاً بيد عليّ فقال: إن النبي ﷺ حضر الشجرة بخم، ثم خرج أخذاً بيد عليّ فقال: «ألستم تشهدون أن الله ربكم؟» قالوا: بلى، قال: «فمن كان الله ورسوله مولاه فإنّ هذا مولاه، وقد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا كتاب الله سببه بيده وسببه بأيديكم وأهل بيتي»... قال

(١) المصدر نفسه ٢: ٤٣٩.

(٢) المنتخب من مسند عبد بن حميد ١: ٢١٤، تحقيق العلامة عبد الله العدوي.

(٣) المعرفة والتاريخ ١: ٥٣٦، ورجال السنن كلهم ثقات بحسب علماء الجرح والتعديل عند أهل السنة.

ابن حجر: وهذا إسناد صحيح<sup>(١)</sup>.

كما أشار إلى تصحيحه باللفظ المذكور عن إسحاق، البوصيري في «تحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة»، قال: وعن علي بن أبي طالب أن النبي ﷺ حضر الشجرة بخم، ثم خرج آخذاً بيد علي فقال: «أستم تشهدون أن الله ربكم؟» قالوا: بلى، قال: «أستم تشهدون أن الله ورسوله أولى بكم من أنفسكم وأن الله ورسوله مولاكم؟» قالوا: بلى، قال: «فمن كان الله ورسوله مولاه فإن هذا مولاه، وقد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله سببه بيده وسببه بأيديكم وأهل بيتي».. قال البوصيري: رواه إسحاق بسند صحيح<sup>(٢)</sup>.

والنتيجة أن الحديث المذكور قد ورد بطرق صحيحة بلفظ: (التمسك) و(الأخذ) و(الإتباع).. فما الذي نستفيد من هذا الحديث؟!!



(١) المطالب العالية ٤: ٦٥، برقم: ٣٩٧٢.

(٢) تحاف الخيرة المهرة ٩: ٢٧٩.

## كلمات علماء أهل السنة في شرح حديث الثقلين

بعد أن عرفنا تامة سند الحديث نطالع الآن المراد من دلالاته، وسنستعين بكلمات العلماء الأعلام من أهل السنة في بيان الدلالة حتى تكون الحجّة ألزم على أصحابها.

قال الملا عليّ القاري في «المرقاة شرح المشكاة» في شرحه لحديث الثقلين: ((والمراد بالأخذ بهم: التمسك بمحبتهم ومحافظة حرمتهم والعمل برواياتهم والاعتماد على مقالاتهم))<sup>(١)</sup>. انتهى

وعن الدهلوي في «التحفة الاثنا عشرية»: ((هذا الحديث - أي: حديث الثقلين - ثابت عند الفريقين: أهل السنة والشيعة، وقد علم منه أن رسول الله ﷺ أمرنا في المقدمات الدينية والأحكام الشرعية بالتمسك بهذين العظيمين القدر، والرجوع إليهما في كلّ أمر فمن كان مذهبه مخالفاً لهما في الأمور الشرعية اعتقاداً وعملاً فهو ضال ومذهبه باطل لا يعبأ به ومن جحد بهما غوى ووقع في مهاوي الردى))<sup>(٢)</sup>. انتهى

وجاء عنه في «أشعة اللمعات في شرح المشكاة»: ((لقد كرّر هذه الكلمة للمبالغة والتوكيد، وهي إشارة إلى وجوب أخذ السنة منهم، كما أن الأولى إشارة إلى الأخذ بها في الكتاب. فعلى جميع الذين آمنوا أن

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ١١: ٣٠٧.

(٢) مختصر التحفة الاثني عشرية: ٥٢، والدهلوي هو شاه عبد العزيز (١١٥٩ - ١٢٣٩) كبير علماء الهند من أهل السنة في عصره.

يكونوا مطيعين لأهل بيت النبي ﷺ))<sup>(١)</sup>. انتهى

ومراده من تكرار الكلمة هو ما ورد في إحدى نصوص حديث الثقلين بأنه ﷺ قال ثلاث مرات: «أذكركم الله في أهل بيتي»<sup>(٢)</sup>.

قال الزرقاني المالكي في شرح هذه الجملة: ((قال الحكيم الترمذي: حُضُّ عَلَى التَّمَسُّكِ بِهِمْ، لِأَنَّ الْأَمْرَ لَهُمْ مَعَايِنَةٌ، فَهَمُّ أَعْبَدَ عَنِ الْمَحْنَةِ))<sup>(٣)</sup>.

وقال التفتازاني بعد أن ذكر الحديث: ((ألا يرى أنه ﷺ قرنهم بكتاب الله تعالى في كون التمسك بهما منقذاً عن الضلالة ولا معنى للتمسك بالكتاب إلا الأخذ به بما فيه من العلم والهداية فكذا في العترة))<sup>(٤)</sup>. انتهى

وقال المباركفوري في شرحه على الترمذي: ((«فأنظروا كيف تخلفوني» بتشديد النون وتخفف أي: كيف تكونون بعدي خلفاء أي: عاملين متمسكين بهما))<sup>(٥)</sup>. انتهى

وعن ابن الأثير في «النهاية»: ((إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي) سّماهما ثقلين؛ لأنّ الأخذ بهما والعمل بهما ثقل. ويقال لكلّ شيءٍ خطير نفيس: ثقل، فسّماهما ثقلين لقدرهما وتفخيماً لشأنهما))<sup>(٦)</sup>. انتهى

(١) أشعة اللمعات في شرح المشكاة ٤: ٦٧٧.

(٢) صحيح مسلم ٤: ١٨٧٣، برقم ٢٤٠٨.

(٣) شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية ٩: ٢٤٦.

(٤) شرح المقاصد ٣: ٥٢٩.

(٥) تحفة الأحوذ في شرح الترمذي ١٠: ١٩٧.

(٦) النهاية في غريب الحديث ١: ٢١٦.

وعن النووي في شرحه على مسلم: ((قوله ﷺ: (وأنا تارك فيكم ثقلين) فذكر كتاب الله وأهل بيته. قال العلماء: سمياً ثقلين لعظمهما وكبير شأنهما، وقيل: لثقل العمل بهما))<sup>(١)</sup>. انتهى

وقال شهاب الدين الخفاجي في شرح الشفاء: ((أي: تمسّكتم وعملتكم واتبعتموه))<sup>(٢)</sup>. انتهى

وعن المناوي الشافعي في «فيض القدير»: ((وفي هذا مع قوله أولاً «إني تارك فيكم» تلويح، بل تصريح بأنّهما كتوأمين خلفهما ووصى أمّته بحسن معاملتهما وإيثار حقّهما على أنفسهما والاستمساك بهما في الدين...))<sup>(٣)</sup>. انتهى

فالملاحظ من الكلمات المتقدّمة لهؤلاء الأعلام من أهل السنّة أنّهم متفقون على دلالة الحديث من لزوم التمسّك بالعترة وأخذ علوم الدين وأحكامه عنها، تماماً كما يؤخذ عن القرآن، وأنّ الأخذ عن العترة عاصم من الضلال كما هو الشأن في الأخذ عن القرآن، والعصمة من الضلال - كما هو واضح لكلّ ذي بصيرة - نتيجتها النجاة قطعاً.



(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١٥: ١٨٠.

(٢) نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض ٣: ٤١٠.

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير ٣: ٢٠.

## من هي العترة!!؟

ويأتي السؤال هنا عن العترة، الوارد ذكرها في حديث الثقلين من لزوم التمسك بها وأخذ علوم الدين عنها.. من هي؟!

الجواب: لقد بين النبي الأكرم صلوات الله وسلامته المراد من العترة في حديث الثقلين نفسه حين قال: «عترتي أهل بيتي».. فقد فسّر النبي صلوات الله وسلامته المراد بالعترة بأنهم أهل بيته لا غير..

قال المناوي الشافعي في «فيض القدير»: ((وعرتي أهل بيتي تفصيل بعد إجمال بدلاً أو بياناً، وهم أصحاب الكساء الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً))<sup>(١)</sup>. انتهى

وقال الشيخ عبد الحق الدهلوي في «أشعة اللمعات»: ((قوله: والعترة رهط الرجل وأقرباؤه وعشيرته الأدنون، وفسره صلوات الله وسلامته بقوله: (وأهل بيتي) للإشارة إلى أن مراده هنا من العترة أخصّ عشيرته وأقاربه وهم أولاد الجد القريب أي: أولاده وذريته صلوات الله وسلامته))<sup>(٢)</sup>. انتهى

وعن الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول»: ((قوله صلوات الله وسلامته: «لن يفرقا حتى يردا عليّ الحوض» وقوله: «ما إن أخذتم به لن تضلّوا» واقع على الأئمة منهم السادة، لا على غيرهم))<sup>(٣)</sup>. انتهى

(١) فيض القدير في شرح الجامع الصغير ٣: ١٩.

(٢) أشعة اللمعات في شرح المشكاة ٤: ٦٨١.

(٣) نوادر الأصول ١: ٢٥٩.

وهذا المعنى الذي أشار إليه هؤلاء الأعلام من أهل السنّة هنا هو نفسه الموافق أيضا للمعنى اللغوي للمراد من كلمة (عترة):

قال الفراهيدي في كتاب «العين»: ((وعترة الرجل: أصله. وعترة الرجل أقرباؤه من ولده وولد ولده وبني عمّه دنيا))<sup>(١)</sup>. انتهى

وقال الجوهري في «الصحاح»: ((عترة الرجل: نسله ورهطه الأذنون))<sup>(٢)</sup>. انتهى

(١) كتاب العين ٢: ٦٦.

(٢) الصحاح في اللغة ٢: ٧٣٥.

## من هم أهل بيت النبي ﷺ؟!؟

أقول: بعد أن عرفنا أن المراد بالعترة بأنهم أهل بيت النبي ﷺ لا غير، يأتي السؤال هنا عن أهل بيته من هم؟!؟

هل المراد بهم أهل الكساء وذريتهم خاصة؟! أم يدخل في مفهوم أهل بيته نساؤه كذلك؟!؟

أو ربمّا - كما يريد البعض - إدخال أبناء عمومته ﷺ في مفهوم أهل بيته؟!؟!!

**الجواب:** لقد بين النبي ﷺ في حديث صحيح ورد بعدة طرق بأن مراده بأهل بيته هم أصحاب الكساء، أي علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام دون غيرهم.. فقد ثبت عنه ﷺ بأنه حين جللهم بالكساء، قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي»<sup>(١)</sup>.

فهنا في هذا الحديث الشريف الصحيح، الوارد بطرق عديدة بين النبي ﷺ بشكل لا لبس فيه المراد بأهل بيته بأشخاصهم، وذلك حين أشار إليهم ببيان معرّف الجزئين حين قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي»، ومن المعلوم في علم البلاغة أنّ تعريف الجزئين يفيد الحصر<sup>(٢)</sup>، والجزءان هنا - أي المسند والمسند إليه - معرفة، فكلمة (هؤلاء) اسم إشارة معرفة، و(أهل بيتي) مضاف ومضاف إليه، معرفة أيضاً.. وبذلك

(١) انظر المستدرک علی الصحیحین ٢: ٤٥١ بتصحیح الحاكم والذهبي، ومسند أحمد ٤٤: ١١٩، قال شعيب الأرنؤوط: هذا حديث صحيح وله أسانيد ثلاثة.  
(٢) نظر: الاتقان في علوم القرآن للسيوطي: ٥٨٣.

يثبت الحصر والتعيين، ومن هنا لا يدخل في مفهوم أهل البيت الوارد في حديث الثقلين غير أصحاب الكساء، كائناً من كان في زمانه صلى الله عليه وآله؛ لأن الحصر المذكور هو حصر إضافي كما نفهمه من خلال الجمع بين أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله كما سيأتي بيانه.

قال الألويسي في تفسيره: ((وأخبار إدخاله صلى الله عليه وآله علياً وفاطمة وابنيهما (رضي الله تعالى عنهم) تحت الكساء، وقوله عليه الصلاة والسلام: «اللهم هؤلاء أهل بيتي» ودعائه لهم وعدم إدخال أم سلمة أكثر من أن تحصى وهي مخصّصة لعموم أهل البيت بأيّ معنى كان. فالمراد بهم من شملهم الكساء، ولا يدخل فيهم أزواجه))<sup>(١)</sup>. انتهى

وقد تقدّم عن المناوي الشافعي في «فيض القدير» قوله: ((وعترتي أهل بيتي: تفصيل بعد إجمال بدلاً أو بياناً، وهم أصحاب الكساء الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً))<sup>(٢)</sup>. انتهى

هذا من ناحية محاولة إدخال زوجاته صلى الله عليه وآله في مفهوم أهل البيت الوارد في حديث الثقلين، وقد تبين أنهم لا يدخلون في مفهوم العترة، لا لغة ولا شرعاً.. وأمّا ما فسّره زيد بن أرقم - كما في الرواية الواردة في صحيح مسلم - بأن أهل بيته صلى الله عليه وآله هو خصوص من حرم الصدقة بعده، وهم آل عليّ وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس<sup>(٣)</sup>.

فنقول هذا التفسير الوارد عن زيد لا يعدو أن يكون رأياً رآه،

(١) روح المعاني ٢٢: ١٤ و ١٥.

(٢) فيض القدير في شرح الجامع الصغير ٣: ١٩.

(٣) صحيح مسلم ٧: ١٢٣.

وهو ليس بحجة؛ لأنه لم يصدر عن النبي ﷺ بل الصادر عنه ﷺ والرواية ﷺ هو ما تضافر نقله من تنصيبه ﷺ على أن المراد بأهل بيته هم: عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام دون غيرهم، والحجة هي لكلام النبي ﷺ دون غيره، فلا اعتبار لما طرحه زيد بن أرقم هنا لعدم حجّيته.

قال الحافظ الكنجي الشافعي في «كفاية الطالب» بعد ذكره لحديث الثقلين وتفسير زيد المتقدّم: ((قلت: إن تفسير زيد (أهل البيت) غير مرضي؛ لأنه قال أهل البيت من حرم الصدقة بعده، يعني بعد النبي ﷺ وحرمان الصدقة يعمّ زمان حياة الرسول ﷺ وبعده وهم لا ينحصرون في المذكورين فإنّ بني المطلب يشاركونهم في الحرمان؛ ولأنّ آل الرجل غيره على الصحيح، فعلى قول زيد يخرج أمير المؤمنين عليه السلام عن أن يكون من أهل البيت، بل الصحيح: أن أهل البيت عليّ وفاطمة والحسنان عليهم السلام كما رواه مسلم بإسناده عن عائشة أنّ رسول الله ﷺ خرج ذات غداة وعليه مرط مرجل من شعر أسود، فجاء الحسن بن عليّ فأدخله ثمّ جاء الحسين فأدخله معه ثمّ جاءت فاطمة فأدخلها، ثمّ جاء عليّ فأدخله ثمّ قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾. وهذا دليل على أن أهل البيت هم الذين ناداهم الله بقوله: ((أهل البيت)) وأدخلهم الرسول (رسول الله ﷺ) في المرط. وأيضاً روى مسلم بإسناده أنّه لما نزلت آية المباهلة دعا رسول الله ﷺ عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً عليهم السلام وقال: «اللّهم هؤلاء أهل بيتي»<sup>(١)</sup>. انتهى

(١) كفاية الطالب: ٥٤.

## إثبات بقية العترة إلى يوم القيامة

ورد في حديث الثقلين في طرقه الصحيحة المتقدمة قوله صلى الله عليه وآله: «وأنهما لن يفرقا حتى يردا عليّ الحوض»، أي أنّ القرآن والعترة لا يفرقان عن بعضهما البعض إلى يوم القيامة، الأمر الذي يفهم منه بقاء متأهل من العترة في كلّ زمان مع القرآن الكريم إلى يوم القيامة..

يقول المناوي الشافعي في «فيض القدير» في شرح حديث الثقلين: ((تنبّه: قال الشريف - يقصد الحافظ السمهودي - : هذا الخبر يفهم وجود من يكون أهلاً للتمسك به من أهل البيت والعترة الطاهرة في كل زمن إلى قيام الساعة حتى يتوجه الحث المذكور إلى التمسك به كما أن الكتاب كذلك فلذلك كانوا أماناً لأهل الأرض فإذا ذهبوا ذهب أهل الأرض))<sup>(١)</sup>. انتهى

وبهذا المعنى أيضاً صرح العلامة الزرقاني المالكي في «شرح المواهب»، قال: ((قال السمهودي: هذا الخبر - أي: حديث الثقلين - يفهم وجود من يكون أهلاً للتمسك به من عترته في كلّ زمن إلى قيام الساعة حتى يتوجه الحث المذكور على التمسك به كما أنّ الكتاب كذلك، فلذا كانوا أماناً لأهل الأرض فإذا ذهبوا ذهب أهل الأرض))<sup>(٢)</sup>. انتهى

وعن ابن حجر في «الصواعق المحرقة» قال: ((وفي أحاديث التمسك بأهل البيت إشارة إلى عدم انقطاع مستأهل فيهم للتمسك

(١) فيض القدير ٣: ١٥.

(٢) شرح المواهب ٧: ٨.

به إلى يوم القيامة، كما أن الكتاب العزيز كذلك، ولهذا كانوا أماناً لأهل الأرض كما سيأتي ويشهد لذلك الخبر السابق: «في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي»<sup>(١)</sup>. انتهى

وعليه؛ كيف نبت بقية العترة إلى يوم القيامة؟!

**الجواب:** يمكننا معرفة بقية العترة من خلال الجمع بين أحاديث رسول الله ﷺ.. فإذا رجعنا إلى حديث الثقلين المتقدم وجدناه يقول في إحدى طرقه الصحيحة: «إني تارك فيكم خليفتين: كتاب الله، حبل ممدود ما بين الأرض والسماء، وعترتي أهل بيتي، وأنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض»<sup>(٢)</sup>.. فماذا يستفاد من الحديث المذكور؟؟

**يستفاد منه دلالات أربع:**

**الأولى:** أن العترة هم الخلفاء بعد رسول الله ﷺ.

**الثانية:** أن العترة تكون هادية مهدية إلى يوم القيامة، وهذا هو معنى عدم الافتراق عن القرآن كما نصّ عليه علماء أهل السنة عند شرحهم للحديث المذكور<sup>(٣)</sup>.

**الثالثة:** استمرار خلافة العترة إلى يوم القيامة، كما نصّ عليه علماء

(١) الصواعق المحرقة ٢: ٤٤٢.

(٢) صحيح الجامع الصغير للألباني ١: ٤٨٢، مسند أحمد بن حنبل، برقم: ٢١٦٥٤، صحيح شعيب الأرنؤوط، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ج ١ ص ١٧: رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات، ج ٩ ص ١٦٣: رواه أحمد واسناده جيد.

(٣) انظر: فيض القدير في شرح الجامع الصغير للمناوي ٣: ٢٠، شرح المقاصد للفتازاني ٣:

أهل السنّة أيضاً عند شرحهم للحديث<sup>(١)</sup>.

**الرابعة:** كونهم من قريش، لأنّ العترة من بني هاشم، وبني هاشم من قريش.

أقول فإذا لاحظنا هذا الحديث المبارك بما فيه من دلالات أربع ولا حظنا حديث آخر متضافر روته صحاح المسلمين ومسانيدهم، وهو حديث الخلفاء من بعدي اثنا عشر ننتهي إلى نتيجة واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار: فحديث الخلفاء من بعدي اثنا عشر يشير إلى استمرار خلافتهم إلى يوم القيامة، حيث جاء فيه: «لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة، كلهم من قريش»<sup>(٢)</sup>.

يقول ابن كثير في تاريخه «البداية والنهاية»: ((قال ابن تيميّة: وهؤلاء المبشّر بهم في حديث جابر بن سمرة وقرّر أنّهم يكونون مفرّقين في الأمّة ولا تقوم الساعة حتى يوجدوا))<sup>(٣)</sup>. انتهى

وعن السيوطي في تاريخه: ((وجود اثني عشر خليفة في جميع مدّة الإسلام إلى القيامة يعملون بالحقّ وإن لم يتوالوا))<sup>(٤)</sup>. انتهى... وعن ابن

(١) انظر: فيض القدير ٣: ١٩، الصواعق المحرقة ٢: ٤٤٢.

(٢) رواه مسلم في صحيحه ٦: ٤، كتاب الإمارة عن جابر بن سمرة، وهذا الحديث يعدّ من المتواترات لما تضافر نقله في: صحيح البخاري، ومسند أحمد وسنن أبي داود ومستدرک الحاكم وغيرها، فضلاً عن تواتر روايته عند الشيعة الإمامية، راجع كتاب (الغيبة) للنعمان، ص ١٠٣، و(النكت الاعتقادية) للشيخ المفيد، ص ٤٢، و(منهاج الكرامة) للعلامة الحلّي، ص ١٧٧، وغيرها.

(٣) البداية والنهاية ٦: ٢٤٩-٢٥٠.

(٤) تاريخ الخلفاء - للسيوطي - ١٢: ١٢.

حجر في فتح الباري: ((ولا بدّ من تمام العدة قبل قيام الساعة))<sup>(١)</sup>. انتهى  
وأيضاً يشير هذا الحديث إلى أنّ هؤلاء الخلفاء هم من الصالحين:  
((لا يزال هذا الأمر صالحاً))<sup>(٢)</sup>.

يقول ابن كثير في تفسيره: ((ومعنى هذا الحديث البشارة بوجود اثني عشر خليفة صالحاً يقيم الحق ويعدل فيهم ولا يلزم من هذا تواليهم وتتابع أيامهم... ولا تقوم الساعة حتى تكون ولايتهم لا محالة والظاهر أن منهم المهدي المبشر به في الأحاديث الواردة بذكره))<sup>(٣)</sup>. انتهى

فحديث الخلفاء من بعدي اثنا عشر فيه دلالات أربع: الصلاح، النصّ على خلافتهم، استمرار هذه الخلافة إلى يوم القيامة، وأنهم من قريش.. وهي نفسها دلالات حديث الثقلين المتقدمة من دون زيادة ولا نقيصة.. ومقتضى الجمع بين الحديثين الشريفين «الثقلين والخلفاء من بعدي اثنا عشر»، ننتهي إلى نتيجة واضحة جداً، حاصلها: أنّ الخلفاء الأثنا عشر الذين تستمر خلافتهم إلى يوم القيامة هم من عترة النبي ﷺ لا غير.. وهذا هو التفسير الصحيح لحديث جابر بن سمرة بعد اعتراف أهل السنة أنفسهم بعدم وجود تفسير صحيح للحديث المذكور على مبانيهم وخلفاءهم!!!

قال ابن الجوزي في «كشف المشكل»: ((هذا الحديث قد أطلت البحث عنه وتطلّبت مظانّه وسألته عنه فما رأيت أحداً وقع على

(١) فتح الباري ١٣: ٢١١.

(٢) انظر: مسند أحمد ٥: ٩٧، ١٠٧.

(٣) تفسير ابن كثير ٢: ٣٤.

المقصود به..))<sup>(١)</sup>. انتهى

وعن ابن بطل ينقل عن المهلب قوله: ((لم ألق أحداً يقطع في هذا الحديث - يعني بشيء معين -))<sup>(٢)</sup>.

وقال أبو بكر ابن العربي: ((ولم أعلم للحديث معنى))، وهذا نصّ كلامه في شرح الحديث: ((روى أبو عيسى عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: (يكون بعدي اثنا عشر أميراً كلّهم من قريش). صحيح فعددنا بعد رسول الله ﷺ من ملك الحسن معاوية يزيد بن معاوية معاوية بن يزيد مروان عبد الملك بن مروان الوليد سليمان عمر بن عبد العزيز هشام بن عبد الملك يزيد بن عبد الملك مروان ابن محمد بن مروان السفّاح المنصور المهدي الهادي الرشيد الأمين المأمون المعتصم الواثق المتوكل المتصر المستعين المعتز المهدي المعتمد المعتضد المكتفي المقدر القاهر الراضي المتقي المستكفي المطيع الطائع القائم المهدي وأدرّكته سنة أربع وثمانين وأربعمائة وعهد إلى المستظهر أحمد ابنه وتوفي في المحرم سنة ست وثمانين ثمّ بايع المستظهر لابنه أبي منصور الفضل وخرجت عنهم سنة خمس وتسعين.

وإذا عددنا منهم اثني عشر انتهى العدد بالصورة إلى سليمان بن عبد الملك، وإذا عددناهم بالمعنى، كان معنا منهم خمسة: الخلفاء الأربعة وعمر بن عبد العزيز! ولم أعلم للحديث معنى، ولعلّه بعض حديث.

(١) كشف المشكل ١: ٩٤٤، وذكر ابن حجر هذه العبارة في فتح الباري ١٣: ١٨٢.

(٢) فتح الباري ١٣: ١٨٢.

وقد ثبت أن النبي ﷺ قال: «كلهم من قريش»<sup>(١)</sup> انتهى

والطريف أن نجد بعض علماء أهل السنة أنه قد توسل حتى بالتوراة المحرّفة ليجد تفسيراً لهذا الحديث الشريف ولم يفلح<sup>(٢)</sup>.. والحال كان الأفضل له ولغيره أن يفسّر هذا الحديث الشريف من خلال الجمع بين أحاديث رسول الله ﷺ نفسها الواردة في كتبهم دون اللجوء إلى التوراة المحرّفة.

أمّا دعوى تفرّقهم وعدم اشتراط تواليهم فهي دعوى بلا دليل أوّلاً، ولعدم وجود مصداق خارجي لها ثانياً مع كثرة محاولات العلماء -التي مرّ ذكر بعضها- على إكمال العدد بنحو التفرّق فلم يفلحوا أيضاً.

هذا من حيث عدد العترة المنصوص عليهم في حديث الثقلين، وقد تبين بعد الجمع بين أحاديث رسول الله ﷺ الموجودة في صحاح المسلمين ومسانيدهم أنهم اثنا عشر خليفة من عترة النبي ﷺ لا غير، وأنّ خلافتهم تستمر إلى يوم القيامة.. ويبقى السؤال: هل ثمة سبيل لمعرفة أسماءهم وتحديد شخوصهم؟!!

هذا ما سنجيب عليه في نهاية هذا البحث بإذن الله تعالى، ولننتقل الآن إلى الخطوة الثانية.

(١) شرح ابن العربي على صحيح الترمذي ٩: ٦٨ ٦٩.

(٢) انظر محاولة أبي الجلد التي تبناها ابن كثير في «البداية والنهاية» ٦: ٢٥٦، وهي محاولة فاشلة بالمرّة.

## الخطوة الثانية من البحث

بعد ان عرفنا في الخطوة الأولى أنّ التمسّك بالكتاب والعترة نتيجته العصمة من الضلال الذي يعني النجاة لا محالة، نسأل هنا في هذه الخطوة - الثانية - السؤال التالي ونقول: هل ثمة طائفة أو جماعة محدّدة تنطبق عليها مواصفات التمسّك بالعترة حتّى تكون هي الفرقة الناجية بمقتضى حديث الثقلين المتقدّم؟!!

الجواب: لقد شهد علماء أهل السنّة ومؤرّخوهم وأصحاب الفرق والملل والنحل والكتّاب، منهم: ابن تيمية وابن القيم والألباني وابن عثيمين، بأنّ الشيعة هم الذين يوالون العترة ويأخذون دينهم عنها<sup>(١)</sup>، حتّى صارت الصلاة على آل شعاراً للشيعة دون أهل السنّة كما يشهد بذلك الشيخ صالح آل الشيخ في كتابه «الآلئ البهية»<sup>(٢)</sup>.

ولنذكر هنا جانباً من هذه الأقوال:

١. قال الشهرستاني في كتابه الملل والنحل: الشيعة هم الذين شايعوا عليّاً (رضي الله عنه) على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصّاً ووصيّة، إمّا جليّاً وإمّا خفيّاً، واعتقدوا أنّ الإمامة لا تخرج من

(١) أنظر: تأريخ ابن خلدون ١: ١٩٦، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٢: ٥١٩، الملل والنحل للشهرستاني ١: ١٤٦، التعريفات للجرجاني ١: ١٧١، مسألة تعلّيق الطلاق لابن تيمية، ص ٦٩٧، الصواعق المرسلّة لابن القيم، ص ٦١٦، الفتاوى المهمة للألباني، ص ١٥٤، مذكرة على العقيدة الواسطية لابن عثيمين، ص ٥٧.

(٢) الآلئ البهية: ٤١٠.

أولاده<sup>(١)</sup>.

٢. وقال ابن منظور في لسان العرب، والفيروزآبادي في القاموس المحيط، والزبيدي في تاج العروس: وقد غلب هذا الاسم (أي الشيعة) على مَنْ يتوالى عليّاً وأهل بيته رضوان الله عليهم أجمعين، حتى صار لهم اسماً خاصاً، فإذا قيل: (فلان من الشيعة) عُرف أنه منهم<sup>(٢)</sup>.

٣. وقال الزهري: والشيعة قوم يهون هوى عترة النبي ﷺ ويوالونهم<sup>(٣)</sup>.

٤. وقال ابن خلدون: اعلم أنّ الشيعة لغةً: الصّحْب والأتباع، ويُطَلَق في عُرْف الفقهاء والمتكلّمين من الخلف والسلف على أتباع عليّ وبنيه (رضي الله عنهم)<sup>(٤)</sup>.

٥. وجاء عن ابن تيمية في مسألة تعلّق الطلاق وهو يتحدث عن بعض الأحكام الشرعية في مسائل الطلاق وممن وافق الشافعي فيها، قال: ((وممن وافقه كابن حزم من السنة، وكالمفيد والطوسي والموسوي.. وغيرهم من شيوخ الشيعة، وهم ينقلون ذلك عن فقهاء أهل البيت - إلى أن يقول عن الشيعة -: لكن جمهور ما ينقلونه عن الشريعة موافق لقول جمهور المسلمين، فيه ما هو من مواقع الإجماع، وفيه ما فيه نزاع بين أهل السنة، فليس الغالب فيما ينقلونه عن هؤلاء

(١) الملل والنحل ١: ١٤٦.

(٢) لسان العرب ٨: ١٨٩. القاموس المحيط ٣: ٤٩. تاج العروس ٢١: ٣٠٣.

(٣) لسان العرب ٨: ١٨٩. تاج العروس ٢١: ٣٠٣.

(٤) مقدمة ابن خلدون: ١٩٦.

الأئمة من مسائل الشرع الكذب، بل الغالب عليه الصدق))<sup>(١)</sup>. انتهى  
وقال في «منهاج السنّة النبوية» وهو يتحدث عن الشيعة من أين  
يأخذون أحكام دينهم: ((وأما شرعياتهم فعمدتهم فيها على ما ينقل  
عن بعض أهل البيت، مثل أبي جعفر الباقر، وجعفر بن محمد الصادق  
وغيرهما))<sup>(٢)</sup>. انتهى

٦. وجاء عن ابن القيم الجوزية في كتابه الصواعق المرسلّة: «الوجه  
التاسع: إنّ فقهاء الإمامية من أولهم إلى آخرهم ينقلون عن أهل البيت أنّه  
لا يقع الطلاق المحلوف به وهذا متواتر عندهم عن جعفر بن محمد.. وغيره  
من أهل البيت، وهب أنّ مكابراً كذبهم كلّهم وقال قد تواطئوا على الكذب  
عن أهل البيت ففي القوم فقهاء وأصحاب علم ونظر في اجتهاد وإن كانوا  
مخطئين مبتدعين في أمر الصحابة، فلا يوجب ذلك الحكم عليهم كلّهم  
بالكذب والجهل وقد روى أصحاب الصحيح عن جماعة من الشيعة وحملوا  
حديثهم واحتج به المسلمون»<sup>(٣)</sup>. انتهى

٧. وعن عامر عبد الله فالج، من كتاب السلفية المعاصرين،  
في كتابه معجم ألفاظ العقيدة الذي قال في مقدّمته: «اخترت أوثق  
الأقوال في كثير من المسائل لعلماء متقدّمين ومتأخرين ومعاصرين»..  
قال معرّفاً بالشيعة: «الشيعة: هم الذين شايعوا عليّاً على الخصوص،  
وقالوا بإمامته وخلافته نصّاً ووصاية إماماً جلياً وإماماً خفياً، وقالوا إنّ  
الإمامة لا تخرج عن أولاده وإن خرجت فبظلم من غيره أو بتقية من

(١) مسألة تعلّق الطلاق: ٦٩٧، ٦٩٨.

(٢) منهاج السنّة النبوية ٥: ١٦٢.

(٣) الصواعق المرسلّة ١: ٦١٦، ٦١٧.

عنده»<sup>(١)</sup>. انتهى

النتيجة: أنّ الشيعة، وباعتراف مؤرخي الفرق والمذاهب عند المسلمين جميعاً، هي الفرقة الوحيدة التي توالي العترة وتأخذ دينها عنها، فقهاً وعقائداً.

(١) معجم ألفاظ العقيدة: ٢٤٧.

## دعوى أنّ أهل السنّة يتابعون العترة

قد يقول قائل: إنّ أهل السنّة والجماعة يتابعون العترة ويأخذون علوم الدين عنها فهم المصداق لحديث الثقلين؟!!

نقول: هذه الدعوى نقضها علماء أهل السنّة أنفسهم فهاهو ابن تيمية يعترف بأنّ أهل السنّة لم يأخذوا فقههم عن عليّ عليه السلام ويكذب من يقول إنّهم أخذوا فقههم عن عليّ عليه السلام، قال في «منهاج السنّة» في معرض ردّه على العلامة الحلّي: ((قال الرافضي: وفي الفقه الفقهاء يرجعون إليه.

والجواب: أنّ هذا كذب بيّن فليس في الأئمة الأربعة ولا غيرهم من أئمة الفقهاء من يرجع إليه في فقهه أمّا مالك فإنّ علمه عن أهل المدينة وأهل المدينة لا يكادون يأخذون بقول عليّ بل أخذوا فقههم عن الفقهاء السبعة عن زيد وعمر وابن عمر ونحوهم.

أمّا الشافعي فإنّه تفقه أولاً على المكيين أصحاب ابن جريج كسعيد بن سالم القداح ومسلم بن خالد الزنجي وابن جريج أخذ ذلك عن أصحاب ابن عباس كعطاء وغيره وابن عباس كان مجتهداً مستقلاً وكان إذا أفتى بقول الصحابة أفتى بقول أبي بكر وعمر لا بقول عليّ وكان ينكر على عليّ أشياء ثمّ أنّ الشافعي أخذ عن مالك ثمّ كتب كتب أهل العراق وأخذ مذاهب أهل الحديث واختار لنفسه.

وأما أبو حنيفة فشيخه الذي اختص به حماد بن أبي سليمان وحماد

عن إبراهيم وإبراهيم عن علقمة وعلقمة عن ابن مسعود وقد أخذ أبو حنيفة عن عطاء وغيره وأما الإمام أحمد فكان على مذهب أهل الحديث أخذ عن ابن عيينة وابن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس وابن عمر وأخذ عن هشام بن بشير وهشام عن أصحاب الحسن وإبراهيم النخعي وأخذ عن عبد الرحمن بن مهدي ووكيع بن الجراح وأمثالهما وجالس الشافعي وأخذ عن أبي يوسف واختار لنفسه قولاً وكذلك إسحاق بن راهويه وأبو عبيد ونحوهم والأوزاعي والليث أكثر فقهما عن أهل المدينة وأمثالهم لا عن الكوفيين))<sup>(١)</sup>.  
انتهى

فهنا كما نلاحظ تصريح ابن تيمية وتفصيله للقول بعدم أخذ أهل السنة علمهم وفقهم عن عليٍّ عليه السلام وهو سيد العترة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم !!

ويؤيد هذه الدعوى من ابن تيمية في جانب كبير منها، مارواه أهل السنة أنفسهم من اللقاء الذي جرى بين أبي حنيفة والإمام الصادق عليه السلام.. فقد استغاث أبو جعفر المنصور بأبي حنيفة قائلاً له: يا أبا حنيفة أن الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد فهبيء له من مسائلك الصعاب، قال: فهيات له أربعين مسألة...

فقال (أبو جعفر): يا أبا عبد الله تعرف هذا؟ قال: نعم، هذا أبو حنيفة، ثم أتبعها: قد أتانا. ثم قال: يا أبا حنيفة؟ هات من مسائلك نسأل أبا عبد الله، وابتدأت أسأله وكان يقول في المسألة: أنتم تقولون

(١) منهاج السنة ٧: ٥٢٩-٥٣١.

فيها كذا وكذا وأهل المدينة يقولون كذا وكذا ونحن نقول كذا وكذا، فربما تابعنا وربما تابع أهل المدينة وربما خالفنا جميعاً حتى أتيت على أربعين مسألة ما أحرمت منها مسألة<sup>(١)</sup>.

وهذا يثبت أن لأهل السنة أقوالاً يخالفون فيها أئمة أهل البيت عليهم السلام، ولا يأخذون عنهم دينهم، وهو مخالفة صريحة لحديث الثقلين المتقدم الذي يلزم بالرجوع إلى العترة والأخذ عنها، كما شرح هذا المعنى علماء أهل السنة أنفسهم في كلماتهم المتقدمة.

وهذه المخالفة من أهل السنة لأهل البيت عليهم السلام وعدم الأخذ بأقوالهم صرح بها بشكل واضح وصريح الدكتور عدا ب بن محمود الحمش في مقدمته على كتاب «فقه الآل بين دعوى الإهمال وتهمة الانتحال» لمؤلفه أمين بن صالح الحداء، والتي جاء فيها:

((وحسب مؤلفه أنه كان حرّ الفكر يقظ الضمير حريصاً على الإنصاف جريئاً بإعلانه إلى حدّ كبير. بيد أنني لا أوافق على أن أهل السنة لم يهملوا علوم آل البيت من عقائد وفقه وحديث وتفسير وغيره! بل أهملوها غاية الإهمال ولم يوردوها في كتب الفقه والفتوى إلا حين يريدون ردّ دعوى المخالف أو حين تكون موافقة الآل فيها تقوية لمذهبهم.

ونقله المسائل من كتب الرواية غالباً، لا ينفي ندرة وجود أقوال أئمة آل البيت في كتب الفقه والفتوى في بابة الاحتجاج بها! وكتاب

(١) راجع: تهذيب الكمال للمزي ٥: ٨٠، والكامل لأبن عدي، ٢: ١٣٢، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٦: ٢٥٨، وتاريخ الإسلام - له أيضاً - ٩: ٨٩.

(أسطورة المذهب الجعفري) يمثل الوجهة الحقيقية التي يعتقدونها أكثر علماء أهل السنة! ولئن كان المؤلف قد أحسن في تفنيد دعاوي الدكتور (طه الدليمي) إلا أنّ هذا لا يلغي أن تسعة أعشار علماء أهل السنة ومثقفهم لا يقيمون أدنى وزن لخلاف علماء آل البيت حتّى لو ثبتت نسبة الأقوال إليهم بل يعدّون ذلك من شذوذاتهم التي انفردوا بها عن علماء الأمة المجتهدين..)). انتهى



## الشيعة هم الموالون للعترة وهم صادقون في النقل عنها

أمّا الشيعة الإمامية فيكفينا أن نثبت رجوعهم إلى العترة بما شهد لهم ابن قيم الجوزية في هذا الجانب، قال في «الصواعق المرسلّة»: ((الوجه التاسع: إنّ فقهاء الإمامية من أولهم إلى آخرهم ينقلون عن أهل البيت أنّه لا يقع الطلاق المحلوف به وهذا متواتر عندهم عن جعفر بن محمّد وغيره من أهل البيت.

وهب أنّ مكابرا كذبهم كلّهم وقال قد تواطئوا على الكذب عن أهل البيت ففي القوم فقهاء وأصحاب علم ونظر في اجتهاد وإن كانوا مخطئين مبتدعين في أمر الصحابة فلا يوجب ذلك الحكم عليهم كلّهم بالكذب والجهل))<sup>(١)</sup>. انتهى

وقد تقدّمت شهادة ابن تيمية عن الشيعة بأنهم صادقون في نقلهم عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، حيث قال: ((فليس الغالب فيما ينقلونه عن هؤلاء الأئمة من مسائل الشرع الكذب، بل الغالب عليه الصدق))<sup>(٢)</sup>. انتهى

وجاء عن الشيخ الألباني في كتابه «الفتاوى المهمة» في التفرقة بين السنّة والشيعة قوله: ((.. و لكن يوجد خلافات مثل المذاهب الأربعة

(١) الصواعق المرسلّة ١: ٦١٦، ٦١٧.

(٢) مسألة تعلّق الطلاق: ٦٩٧، ٦٩٨.

فعلى الراس و العين، و لكن عندنا خلافات جذرية، يكفي عندنا القرآن و السنة و هم عندهم القرآن و أهل البيت))<sup>(١)</sup>. انتهى

و هذا المعنى من الولاء لأهل البيت ﷺ هو الذي يميز الشيعة عن غيرهم فيما نصّ عليه أرباب العلوم في تعريفهم للشيعة:

جاء عن ابن خلدون في تاريخه: ((اعلم أنّ الشيعة لغة هم الصحب و الأتباع، و يطلق في عرف الفقهاء و المتكلمين من الخلف و السلف على أتباع عليّ و بنيه (رضي الله عنهم))<sup>(٢)</sup>. انتهى

و بهذا المضمون أيضاً عرف الأزهري الشيعة، حيث قال: ((الشيعة: قوم يهون هوى عترة النبي ﷺ و يوالونهم))<sup>(٣)</sup>.

و في هذا التعريف نلاحظ أنّ الأزهري لم يقل يحبونهم لأشخاصهم، إنّما قال: يهون هواهم و هوى أهل البيت ﷺ هو طاعة الله (عز وجل) ضرورة فالشيعة إذن قومٌ يتابعون أهل البيت و يوالونهم لما فيه طاعة الله سبحانه.

و النتيجة ممّا تقدّم: أنّ أهل السنة لم يتابعوا العترة في فقههم و أحكام الدين باعتراف كبار علمائهم، و هذه مخالفة صريحة لحديث الثقلين الذي يوجب التمسك بالعترة كما أوجب التمسك بالقرآن.. خلاف الشيعة الذين تمسكوا بالقرآن و العترة معاً، و لم يتخلفوا عنهما، حتّى صارت متابعتهم للعترة الطاهرة و الأخذ عنها ميزة واضحة تميزهم عن غيرهم و شعاراً لهم، بشهادة علماء أهل السنة أنفسهم.

(١) الفتاوى المهمة: ١٥٤.

(٢) تاريخ ابن خلدون ١: ١٩٦.

(٣) لسان العرب ٨: ١٨٩، تاج العروس ١١: ٢٥٧.

## شبهة أنّ الشيعة تقول بتحريف القرآن

وهنا قد يطرح البعض دعوى بأنّ الشيعة يقولون بتحريف القرآن فهم لا ينطبق عليهم أنّهم متمسّكون بالكتاب إلى جانب العترة، وفي ردّ هذه الشبهة نقول: ذهب مشهور الطائفة الشيعية إلى عدم وقوع التحريف في القرآن الكريم، وبهذا صرّح كبار مراجعهم وعلمائهم، يقول الشيخ الصدوق، محمّد بن عليّ بن بابويه القمي، المتوفّي سنة ٣٨١ هـ، في كتاب (الاعتقادات): ((اعتقادنا أنّ القرآن الذي أنزله الله على نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم هو ما بين الدفتين، وهو ما في أيدي الناس، ليس بأكثر من ذلك، ومبلغ سوره عند الناس مائة وأربع عشرة سورة.. ومن نسب إلينا أنّنا نقول إنّهُ أكثر من ذلك فهو كاذب))<sup>(١)</sup>. انتهى

وجاء عن الشيخ الطوسي المعروف بشيخ الطائفة والمتوفّي ٤٦٠ هـ: ((أمّا الكلام في زيادة القرآن ونقصه فما لا يليق به أيضاً، لأنّ الزيادة مجمع على بطلانها، وأمّا النقصان فالظاهر أيضاً من مذهب المسلمين خلافه، وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا، وهو الذي نصره المرتضى، وهو الظاهر من الرواية، ثمّ وصف الروايات المخالفة بالآحاد))<sup>(٢)</sup>. انتهى

وفي «أجوبة المسائل المهنية» للعلامة الحليّ (المتوفّي ٧٢٦ هـ)، جاء

(١) الاعتقادات في دين الإمامية: ٩٣.

(٢) التبيان في تفسير القرآن ١: ٢٦٩.

ما نصّه: (( مسألة (١٣): ما يقول سيدنا في الكتاب العزيز، هل يصح عند أصحابنا أنه نقص منه شيء أو زيد فيه أو غير ترتيبه أم لم يصح عندهم شيء من ذلك. أفدنا أفادك الله من فضله وعاملك بما هو من أهله.

الجواب: الحق أنه لا تبديل ولا تأخير ولا تقديم فيه وأنه لم يزد ولم ينقص .

ومن نعوذ بالله تعالى من أن يعتقد مثل ذلك وأمثال ذلك، فإنه يوجب التطرق إلى معجزة الرسول ﷺ المنقولة بالتواتر))<sup>(١)</sup>. انتهى

وجاء عن القاضي السيد نور الله التستري (المتوفى ١٠٢٩ هـ) صاحب كتاب «إحقاق الحق» قوله: ((ما نسب إلى الشيعة الإمامية من وقوع التحريف في القرآن ليس مما يقول به جمهور الإمامية، إنما قال به شذمة قليلة منهم لا اعتداد لهم فيما بينهم))<sup>(٢)</sup>. انتهى

وجاء عن السيد أبي القاسم الخوئي (المتوفى ١٤١٣ هـ)، زعيم الطائفة في زمانه: ((المعروف بين المسلمين عدم وقوع التحريف في القرآن، وأن الموجود بأيدينا هو جميع القرآن المنزل على النبي الأعظم... (وبعد أن ذكر جملة كبيرة من أسماء علماء الطائفة وأقطابها من القائلين بعدم التحريف، قال:)

وجملة القول: إن المشهور بين علماء الشيعة ومحققهم، بل المتسالم

(١) أجوبة المسائل المهنية: ١٢١.

(٢) آلاء الرحمن في تفسير القرآن للبلاغي ١: ٢٦ ينقله عن كتابه مصائب النواصب.

عليه بينهم هو القول بعدم التحريف))<sup>(١)</sup>. انتهى

وفي كتابه «الأنوار الإلهية» صرح المرجع الديني الكبير الشيخ جواد التبريزي (المتوفى ١٤٢٧ هـ): ((المشهور عند الشيعة بل يكاد يكون متفقاً عليه عدم قوع التحريف في القرآن المجيد، بمعنى الزيادة والنقصان))<sup>(٢)</sup>.  
وتمن دفع شبهة القول بالتحريف عن الشيعة الإمامية من علماء أهل السنة، العلامة رحمة الله الهندي، أحد أكابر علماء الحنفية، حيث قال في الفصل الرابع من الجزء الثاني من كتابه القيم «إظهار الحق»: ((القرآن المجيد عند جمهور علماء الشيعة الإمامية الاثني عشرية محفوظ عن التغيير والتبديل، ومن قال منهم بوقوع النقصان فيه فقوله مردود غير مقبول عندهم))<sup>(٣)</sup>. انتهى

وجاء عن الشيخ محمد أبو زهرة - من علماء الأزهر الشريف - في كتابه «الإمام الصادق» قوله: ((القرآن بإجماع المسلمين هو حجة الإسلام الأولى وهو مصدر المصادر له، وهو سجل شريعته، وهو الذي يشتمل على كلها وقد حفظه الله تعالى إلى يوم الدين كما وعد سبحانه إذ قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾. وإن إخواننا الإمامية على اختلاف منازعهم يرونه كما يراه كل المؤمنين))<sup>(٤)</sup>. انتهى  
وعن الأستاذ محمد المدني - عميد كلية الشريعة في جامعة الأزهر - في مقال له: ((وأما أن الإمامية يعتقدون نقص القرآن، فمعاذ الله. إننا

(١) البيان في تفسير القرآن: ٢٠٠-٢٠١.

(٢) الأنوار الإلهية في المسائل العقائدية: ٢٢٤.

(٣) إظهار الحق ٢: ٨٩.

(٤) الإمام الصادق: ٢٩٦.

هي روايات رويت في كتبهم، كما روي مثلها في كتبنا. وأهل التحقيق من الفريقين قد زيفوها، وبيّنوا بطلانها وليس في الشيعة الإمامية أو الزيدية من يعتقد ذلك كما أنّه ليس في السنّة من يعتقدُه))<sup>(١)</sup>. انتهى وعن العلامة الدكتور مصطفى الرافعي في كتابه «إسلامنا»: ((والقرآن الكريم هو الموجود الآن بأيدي الناس من غير زيادة و لا نقصان، وما ورد من أنّ الشيعة الإمامية يقولون بأن القرآن قد اعتراه النقص ... هذا الادعاء أنكره مجموع علماء الشيعة الأعلام ... فالقرآن الكريم إذن هو عصب الدولة الإسلامية، تتفق مذاهب أهل السنّة مع مذهب الشيعة الإمامية على قداسته ووجوب الأخذ به، وهو نسخة موحدة لا تختلف في حرف ولا رسم لدى السنّة والشيعة الإمامية في مختلف ديارهم وأمصارهم))<sup>(٢)</sup>. انتهى

وجاء عن الباحثة الموسوعي محمد عزة دروزة: ((وبحث يمكن القول بجزم بناء على ذلك أنّ ما ورد في الروايات التي جلّها أو كلّها غير وثيق السند مع ذلك من زيادات أو نقص في الكلمات والآيات والسور، ومن مخالفة للترتيب لم يثبت عند الملائم أصحاب رسول الله وناتج عن وهم وخطأ، ولبس وعدم تثبت فأهمل، ومنه ما يصح القول بقوة: إنه مخترع و مدسوس بنية سيئة وقصد مغرض. وجمهور العلماء والمؤلفين مجمعون على هذه الحقائق بدون خلاف، ومن جملة ذلك علماء ومؤلفو الشيعة الإمامية))<sup>(٣)</sup>. انتهى

(١) مع الصادقين، الدكتور التيجاني: ص ٢٠١ عن مقال الأستاذ محمد المدني - مجلة رسالة

الإسلام - العدد الرابع في السنّة الحادية عشرة ص ٣٨٢ و ٣٨٣

(٢) إسلامنا في التوفيق بين السنّة والشيعة: ٧٧.

(٣) القرآن والملحدون ص ٣٢٢، ط المكتب الإسلامي الأولى ١٣٩٣ هـ.

ومن خلال الكلمات المتقدّمة لكبار علماء الشيعة الإمامية وكلمات علماء ومفكري أهل السنّة تبين للجميع أنّ الدعوى المذكورة - بأنّ الشيعة الإمامية تقول بتحريف القرآن - هي دعوى باطلة وليست حقيقية البتة، وإنّما الدافع لها هو الصراع السياسي لا غير، فالقائلون بالتحريف من الشيعة الإمامية هم شواذ وشرذمة قليلة - كما وصفهم القاضي التستري - ولا يصحّ منهجياً محاكمة المذاهب بالشواذ من الأقوال فيها، بل المذاهب تؤخذ بالمشهور والمجمع به من أقوالها، وعلى هذا يسير المنهج العلمي الأكاديمي في كلّ جامعات ومحافل العلم، قديماً وحديثاً.

## الخطوة الثالثة من البحث

بعد أن عرفنا في الخطوة الثانية أنّ الشيعة هم أتباع الثقلين (الكتاب والعترة) بشهادة علماء أهل السنة ومؤلفيهم ومؤرخيهم فقد يسأل البعض هنا ويقول بأنّ الشيعة فرق متعدّدة، فمنهم الإمامية، ومنهم الزيدية، ومنهم الإسماعيلية.. فكيف نعرف الفرقة الناجية من هذه الفرق؟!؟

وفي الإجابة على هذا السؤال نقول: قد تقدّم في نصوص حديث الثقلين هذا النصّ الصحيح الصريح الذي يقول: «إني تارك فيكم خليفتين: كتاب الله، حبل ممدود ما بين الأرض والسماء، وعترتي أهل بيتي، وأنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض»<sup>(١)</sup>، فماذا يستفاد من الحديث المذكور؟

قلنا يستفاد منه دلالات أربع:

**الأولى:** أنّ العترة هم الخلفاء بعد رسول الله ﷺ.

**الثانية:** أنّ العترة تكون هادية مهدية إلى يوم القيامة، وهذا هو معنى عدم الافتراق عن القرآن الذي نصّ عليه علماء أهل السنة عند شرحهم للحديث المذكور<sup>(٢)</sup>.

(١) صحيح الجامع الصغير للألباني ١: ٤٨٢. مسند أحمد بن حنبل، برقم: ٢١٦٥٤، صحيح شعيب الأرنؤوط.

(٢) انظر: فيض القدير في شرح الجامع الصغير للمناوي ٣: ٢٠، شرح المقاصد للتفتازاني ٣:

**الثالثة:** استمرار خلافة العترة إلى يوم القيامة، كما نصّ على ذلك علماء أهل السنّة أنفسهم عند شرحهم لهذا الحديث<sup>(١)</sup>.

**الرابعة:** كونهم من قريش؛ لأنّ العترة من بني هاشم، وبني هاشم من قريش.

فإذا لاحظنا هذا الحديث المبارك بما فيه من دلالات أربع، ولاحظنا حديث آخر متضافر روته صحاح المسلمين ومسانيدهم، وهو حديث الخلفاء من بعدي اثنا عشر الذي اشتمل على هذه الدلالات الأربع نفسها من: الصلاح، والنصّ على خلافتهم، واستمرار هذه الخلافة إلى يوم القيامة، وأنهم من قريش، كما تقدّم بيانه بالتفصيل في الخطوة الأولى من هذا البحث، ننتهي إلى نتيجة واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار، حاصلها: أنّ الخلفاء الأثني عشر الذين تستمر خلافتهم إلى يوم القيامة هم من عترة النبي ﷺ لا غير.

ولم يصرّح جماعة أو فرقة من فرق المسلمين جميعها بموالاته اثني عشر خليفة أو إماماً - المعنى واحد فالخليفة في اللغة هو الإمام الذي ليس فوقه إمام<sup>(٢)</sup> - من العترة سوى الشيعة الإمامية، وبهذا يثبت أنّ الشيعة الإمامية هم الفرقة الناجية يوم القيامة قطعاً وجزماً.. والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات.

(١) انظر: فيض القدير ٣: ١٩، الصواعق المحرقة ٢: ٤٤٢.

(٢) قال ابن نجيم المصري في «البحر الرائق»: ((والمراد بالخليفة: الإمام الذي ليس فوقه إمام، وقيد به احترازاً عن أمير البلدة فإنه يقيم عليه الحدود بأمر الإمام)). البحر الرائق ٥: ٣٣.

## دعوى أن الأئمة لم يحكموا فلا ينطبق عليهم حديث الخلفاء اثنا عشر

مما قد يورده البعض في الاعتراض على الجمع المتقدم بين الحديثين الشريفين (حديث الثقلين وحديث الخلفاء اثنا عشر) بأن أئمة أهل البيت عليهم السلام لم يتولوا أمور المسلمين كلهم فلا يصدق عليهم أنهم خلفاء؟!!

**والجواب:** أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أطلق على عترته لفظ (الخلفاء) من بعده وسماهم بذلك، كما مرّ بيانه في حديث صحيح صريح، وهنا نسأل هل كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين أطلق اللفظ المذكور يعلم بأنهم لا يتولون الحكم من بعده ومع ذاك أطلق عليهم هذا اللفظ أو لا يعلم بذلك؟

فإن قلتم إنه لا يعلم كفرتم، لما ثبت في صحيح البخاري ومسلم وغيرهما بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عنده علم ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة<sup>(١)</sup>، وإن قلتم هو يعلم بذلك فلا وجه لإشكالكم البتة؛ إذ استفاد من هذا الإطلاق أن أئمة أهل البيت عليهم السلام هم خلفاء شرعيون سواء تولوا السلطة أو لم يتولوها، وانصراف الناس عنهم

(١) جاء في صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق ج ٤ ص ٧٣ عن طارق بن شهاب: «فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم». وفي صحيح مسلم ج ٨ ص ١٧٣ عن علباء بن أحرر عن عمرو بن أخطب: «فأخبرنا بما كان وبما هو كائن، فأعلمنا أحفظنا».

لا يصيرهم رعيّة ويصير غيرهم أئمة وخلفاء، كما أنّ انصراف أكثر الناس عن الاعتقاد بنبوة النبي لا يبطل نبوته. وحال هؤلاء الأئمة حال من نصبه النبي ﷺ للقضاء فأبى الناس، فإنه يكون قاضياً شاء الناس أم أبوا، وهذا واضح لا يحتاج إلى مزيد بيان.

وفي تعليق لابن تيمية في «منهاج السنة النبوية» على قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾<sup>(١)</sup> وقوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾<sup>(٢)</sup>، قال: «ولم يكن ذلك بأن جعله ذا سيف يقاتل به جميع الناس، بل جعله بحيث يجب على الناس إتباعه، سواء أطاعوه أم عصوه»<sup>(٣)</sup>. انتهى

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾<sup>(٤)</sup>.



(١) سورة السجدة: ٢٤.

(٢) سورة البقرة: ١٢٤.

(٣) منهاج السنة النبوية ٧: ١٠٩.

(٤) سورة الأحزاب: ٣٦.

## عزة الإسلام بوجود الأنمة عليه

وقد يشكل البعض بإشكال آخر فيقول: إنه ورد في بعض نصوص حديث الخلفاء اثنا عشر أن الإسلام يكون عزيزاً بوجودهم<sup>(١)</sup>، فأين عزة الإسلام بوجود أئمة أهل البيت عليه؟!

**الجواب:** عزة الإسلام كما هو واضح هي في تطبيق أحكامه وليس في الحكم المجرد عن تطبيق الأحكام؛ لأن مخالفة الحاكم لأحكام الشرع مهما بلغ من القوة والجبروت، فيها من الذلة للشريعة والإسلام مما لا يختلف عليه اثنان، وتطبيق الأحكام هو فرع معرفتها والإحاطة بها، وإلا فالجاهل بالشريعة وأحكامها لا يمكنه تطبيق ما شرعه الله ورسوله ﷺ، وإذا بحثنا بعد رسول الله ﷺ عن شخص هو أعلم بالشريعة والأحكام بين الصحابة فلا نجد سوى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، على هذا تصافقت كلمات المؤرخين والعلماء.

يقول الأيجي في «المواقف»: ((وعليّ أعلم الصحابة؛ لأنه كان في غاية الذكاء والحرص على التعلم ومحمد صلى الله عليه وسلم أعلم الناس وأحرصهم على إرشاده وكان في صغره في حجره وفي كبره ختناً له يدخل عليه كل وقت وذلك يقتضي بلوغه في العلم كل مبلغ وأما أبو بكر فاتصل بخدمته في كبره وكان يصل إليه في اليوم مرة أو مرتين؛ ولقوله صلى الله عليه وسلم «أقضاكم عليّ»، والقضاء يحتاج إلى جميع

(١) كما جاء في صحيح مسلم ٦: ٣: (لا يزال الدين عزيزاً إلى اثني عشر خليفة).

العلوم فلا يعارضه نحو (أفرضكم زيد وأقرؤكم أبي)؛ ولقوله تعالى ﴿وتعيها أذن واعية﴾<sup>(١)</sup>، وأكثر المفسرين على أنه عليّ؛ ولأنّه نهى عمر عن رجم من ولدت لسته أشهر وعن رجم الحاملة فقال عمر لولا عليّ لهلك عمر؛ ولقول عليّ «لو كسرت لي الوسادة ثمّ جلست عليها لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم وبين أهل الزبور بزبورهم وبين أهل الفرقان بفرقانهم والله ما من آية نزلت في بر أو بحر أو سهل أو جبل أو سماء أو أرض أو ليل أو نهار إلا وأنا أعلم فيمن نزلت وفي أي شيء نزلت».

ولأنّ عليّاً ذكر في خطبته من أسرار التوحيد والعدل والنبوة والقضاء والقدر ما لم يقع مثله في كلام الصحابة؛ ولأنّ جميع الفرق ينتسبون إليه في الأصول والفروع وكذا المتصوفة في علم تصفية الباطن وابن عباس رئيس المفسرين تلميذه وكان في الفقه والفصاحة في الدرجة القصوى وعلم النحو إنّما ظهر منه وهو الذي أمر أبا الأسود الدؤلي بتدوينه وكذا علم الشجاعة وممارسة الأسلحة وكذا علم الفتوة والأخلاق<sup>(٢)</sup> انتهى

فهذه شهادة من عالم كبير من علماء أهل السنّة وهو الأبيجي<sup>(٣)</sup> يشهد بأعلمية عليّ عليه السلام على الصحابة، وقد جاء من الأدلّة والشواهد الكافية لإثبات مدّعاها خاصّة حديث رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «وأقضاهم

(١) الحاقة: ١٢.

(٢) المواقف - للأبيجي - ٣: ٦٢٧.

(٣) عضد الدين الأبيجي (٦٨٠ - ٧٥٦)، قاضٍ ومتكلّم وفقيه ولغوي، من كبار علماء أهل السنّة الأشاعرة.

عليّ»، الذي صحّحه الألباني في صحيح ابن ماجه، وفي صحيح الجامع الصغير، والسلسلة الصحيحة<sup>(١)</sup>.

وهو ما شهد به عمر بن الخطاب حين قال - كما يذكر ذلك البخاري في صحيحه<sup>(٢)</sup> - : (وأقضاننا عليّ).

وجاء في «المقاصد الحسنّة» للسخاوي تحقيق الحافظ عبدالله الصديق الغماري في بيان «أقضاكم عليّ»: ((قضاء عليّ وعلمه وشجاعته من المتواترات، فليس من الصحابة من يفوقه في ذلك))<sup>(٣)</sup>. انتهى

وهذه الأعلمية لأمير المؤمنين عليه السلام جعلته بمثابة صمام الأمان للمسلمين في وجوده المبارك بين أظهرهم، فكم دفع عن المسلمين من مكيدة ونائبة كادت تحيق بهم حتى شهد له الصحابة والحكام أنفسهم بعلو كعبه عليهم في هذا الجانب في كلمات كثيرة متكاثرة نقلها علماء أهل السنّة قبل الشيعة في كتبهم، نحو قول عمر مرّات ومرّات: لولا عليّ لهلك عمر، ومثله صدر عن أبي بكر أيضا، كما ينقل ذلك المناوي في «فيض القدير»، حيث يقول: ((وأخرج أحمد أن عمر أمر بجرم امرأة فمرّ بها عليّ فانتزعها فأخبر عمر فقال: ما فعله إلا لشيء فأرسل إليه فسأله فقال: أما سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم يقول: رفع القلم عن ثلاث الحديث قال: نعم قال: فهذه مبتلاة بني

(١) صحيح ابن ماجه ٩: ٣٤ تحت رقم (١٥١)، صحيح الجامع الصغير ٢١١: ١ تحت رقم (٨٦٨)، سلسلة الأحاديث الصحيحة تحت رقم ١٢٢٤.

(٢) صحيح البخاري ٥: ١٤٩، كتاب تفسير القرآن.

(٣) المقاصد الحسنّة - للسخاوي -، تحقيق الحافظ عبدالله الصديق الغماري، في بيان حديث (أقضاكم عليّ) تحت رقم ١٣٩.

فلان فلعله أتاها وهو بها فقال عمر: لولا عليّ هلك عمر واتفق له مع أبي بكر نحوه فأخرج الدارقطني عن أبي سعيد أن عمر كان يسأل عليّاً عن شيء فأجابه فقال عمر: أعوذ بالله أن أعيش في قوم ليس فيهم أبو الحسن وفي رواية لا أبقاني الله بعدك يا عليّ<sup>(١)</sup>. انتهى

وجاء عن ابن حجر في «فتح الباري» قوله: ((وفي كتاب النوادر للحميدي والطبقات لمحمّد بن سعد من رواية سعيد بن المسيّب قال كان عمر يتعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن يعني عليّ بن أبي طالب))<sup>(٢)</sup> انتهى.

فهنا نجد في هذه البيانات التي صدح بها علماء أهل السنة تشير بكلّ وضوح أنّ عزّة الدين هي في تطبيق أحكامه كما أراد الله عزّ وجلّ وكذلك عزّة الحاكم وإلا كان من الهالكين، وهذه العزّة للإسلام كان يمثلها أمير المؤمنين عليه السلام في زمن الخلفاء الثلاثة الذين سبقوه حين كانوا يلجئون إليه في كلّ معضلة ونائبة، فيوقفهم على الصواب فيها.

وهذا القدر من العلم الذي به عزّة الإسلام كان يشتمل عليه أئمة أهل البيت عليهم السلام من ذريّة أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً، ولو اردنا استعراض المواقف التي كان فيها الأئمة عليهم السلام يدفعون بها غائلة الأعداء عن الدين لطال بنا المقام وخرجنا عن منهج الاختصار الذي اردناه لكتابنا هذا، ولكنني هنا سأكتفي بذكر حادثة واحدة فقط نقلها علماء

(١) فيض القدير ٤: ٣: ١١٠٣، والرياض النضرة للطبري ٢: ١٩٤، وتأويل مختلف الحديث لأبي قتيبة: ١٥٢، ومرقاة المفاتيح في شرح مشكاة المصابيح للعلامة القاري ١١: ٢٥٢، وزين الفتى للعاصمي ١: ٣١٨ وغيرها من المصادر.

(٢) فتح الباري ١٣: ٢٦٨.

أهل السنة في كتبهم عن الإمام محمد بن عليّ الباقر عليه السلام في زمن عبد الملك بن مروان نستطيع من خلالها أن نعرف معنى قوله صلى الله عليه وآله: «لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة»<sup>(١)</sup>.

روى البيهقي في «المحاسن والمساويء»، والدميري في «حياة الحيوان»: أن ملك الروم هدّد المسلمين بأن ينقش شتم النبي صلى الله عليه وآله على الدراهم والدنانير وينشرها في العالم كلّه، حيث كانت العملة لا تنقش إلا في بلاد الروم وهي العملة السائدة يومذاك.

وفي هذا التصرف من ملك الروم إذلال للإسلام والمسلمين وتهديد لوجودهم المعنوي والاقتصادي؛ لأنهم إن عملوا بهذه العملة كان ذلاً لهم، وإن امتنعوا عن العمل بها انهار اقتصادهم الذي يعتمد عليها.. فضاقت الأرض بما رحبت على عبد الملك بن مروان - الخليفة الأموي يومها - ولم يعرف ماذا يفعل، فجمع الناس ليشيرهم برأي في القضية فلم يجد عندهم رأياً حاسماً. فأشار عليه بعض حاشيته [وهو أمير فلسطين روح بن زنباع] أنه عليك بالباقر من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله فهو المخرج من هذا الأمر.

فبعث عبد الملك بن مروان إلى عامله في المدينة أن يشخص إلى محمد بن عليّ بن الحسين الباقر مكرماً ويحمله على أفضل جهاز حتى يأتي إليه، وبالفعل حمل الإمام الباقر عليه السلام على أفضل جهاز حتى وصل إلى عبد الملك بن مروان، ولما وافاه أخبره الخبر، فقال له الإمام الباقر عليه السلام: لا يعظم هذا عليك، فإنه ليس بشيء من جهتين: إحداهما أن الله

(١) صحيح مسلم ٦:، كتاب الامارة، باب الناس تبع لقريش، والخلافة في قريش.

عز وجل لم يكن ليطلق ما تهّدّد به صاحب الروم في رسول الله ﷺ،  
والأخرى وجود الحيلة فيه.

قال: وما هي؟

قال ﷺ: تدعو في هذه الساعة بصنّاع فيضربون بين يديك سككا  
للدراهم والدنانير وتجعل النقش عليها سورة التوحيد وذكر رسول  
الله ﷺ أحدهما: في وجه الدرهم والدينار، والآخر: في الوجه الثاني،  
وتجعل مدار الدرهم والدينار ذكر البلد الذي يضرب فيه والسنة  
التي يضرب فيها تلك الدراهم والدنانير وتعمد إلى وزن ثلاثين درهما  
عددا من الأصناف الثلاثة التي تكون العشرة منها وزن عشرة مثاقيل  
وعشرة منها وزن ستة مثاقيل وعشرة منها وزن خمسة مثاقيل، فتكون  
أوزانها جميعا إحدى وعشرين مثقالا، فتجزئتها من الثلاثين كل عشرة  
وزن سبعة مثاقيل، وتصحب صنجات (قوالب) من قوارير لا تستحيل  
إلى زيادة ولا نقصان، فتضرب الدراهم على وزن الأجزاء العشرة التي  
تعادل سبعة مثاقيل وتضرب الدنانير على وزن سبعة مثاقيل التي تعادل  
عشرة دراهم فتكون كل عشرة دراهم يعادل وزنها سبعة دنانير، فيصير  
وزن كل درهم نصف مثقال وخمسة.

ففعل ذلك عبد الملك، وأمره محمد بن عليّ بن الحسين الباقر  
ﷺ بأن تكتب السكك في جميع بلدان الإسلام وأن تتقدم إلى الناس في  
التعامل بها وأن يتهدد بقتل من يتعامل بغير هذه السكة من الدراهم  
والدنانير وأن تبطل وترد إلى مواضع العمل حتى تعاد إلى السكك  
الإسلامية.

ففعل ذلك عبد الملك وردّ رسول ملك الروم وقال له: إن الله عزّ وجل مانعك مما قد أردت أن تفعله وقد تقدّمت إلى عمالي في أقطار البلاد بكذا وكذا وبإبطال السكك والطروز الرومية.

فقيل لملك الروم: افعل ما كنت تهدّد به ملك العرب.

فقال: إنّما أردت أن أغيظه بما كتبت إليه لأني كنت قادراً عليه فأما

الآن فلا<sup>(١)</sup>. انتهى

فهذه واقعة واحدة من عشرات الوقائع التي كان يذبّ فيها الأئمة عليهم السلام عن الإسلام وأهله شرّ الكائدين والكافرين، ولو فتحنا ما كان لهم من دور عظيم في باب المناظرات مع أصحاب الملل والاعتقادات الباطلة من الزنادقة ونحوهم الذين كانوا يتربصون بالإسلام وأهله في العصور الأولى لاحتجنا إلى مجلّدات كثيرة حتّى ننقل هذه المناظرات القيّمة، وهي مبثوثة ومنتشرة في كتب الفريقين بشكل واسع، وقد نقل علمائنا الأعلام جملة منها من مصادر الفريقين في كتبهم، كموسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام للعلامة الشيخ باقر شريف القرشي، التي تتكون من خمسين مجلّداً، وموسوعة أعلام الهداية التي تتكون من ١٤ مجلّداً، وغيرهما كثير.



(١) حياة الحيوان الكبرى للدميري ١: ١٢٧-١٢٩، المحاسن والمساويء للبيهقي: ٣٤٢. وهذه الحادثة ينقلها ابن كثير في البداية والنهاية ٩: ١٢٢ عن الامام عليّ بن الحسين السجّاد عليه السلام، فراجع ثمّة

## إشكال (كلّهم تجتمع عليه الأمة)

ومن الإشكالات التي يثيرها البعض في انطباق حديث الخلفاء اثنا عشر على الأئمة من أهل البيت عليهم السلام بأنه ورد في بعض طرقه الصحيحة أنّ هؤلاء الخلفاء ممّا يجتمع عليهم الناس، أو - كما في سنن أبي داود - : (كلّهم تجتمع عليه الأمة)<sup>(١)</sup>، وأئمة أهل البيت عليهم السلام لم يجتمع عليهم أحد، حتّى عليّ عليه السلام اختلف الناس في زمانه، فكيف يكونون هم الأئمة المعنيون بهذا الحديث!؟

الجواب: إذا كان المراد باجتماع الناس عليهم هو ما فهمه بعض علماء أهل السنّة من الاتفاق على البيعة، فهذا لا ينطبق على أيّ واحد ممّن تولّوا أمر الناس، حتّى أبي بكر وعمر، فإنّ أبا بكر تمّت له البيعة في سقيفة بني ساعدة وأكثر المهاجرين كانوا غائبين عنها؛ وأمّا عمر فكانت خلافته بنصّ أبي بكر لا باجتماع الناس، حتّى قال بعضهم لأبي بكر: ((ما أنت قائل لرّبك إذا سألك عن تولية عمر علينا وقد ترى غلظته))<sup>(٢)</sup>، وأمّا غيرهما ممّن جاء بعدهما فعدم اجتماع الناس عليهم بهذا المعنى واضح وبين.

وعليه؛ فإن كان المراد من اجتماع الناس هذا المعنى فهو لا ينطبق على أحد، فيكون الحديث باطلاً، فحينئذٍ لا مناص من القول بأنّ

(١) سنن أبي داود ٢: ٣٠٩، وانظر: فتح الباري ١٣: ١٨٤.

(٢) الطبقات الكبرى ٣: ١٩٦، تاريخ الخلفاء: ٩٤، الصواعق المحرقة ١: ٢٥٤.

المراد من اجتماع الناس في الحديث هو اجتماعهم على صلاح هؤلاء الخلفاء، وحسن سيرتهم، وطيب سيرتهم، والاجتماع بهذا المعنى متحقق في أئمة أهل البيت عليهم السلام دون غيرهم، فهم وحدهم الذين اتفق الشيعة وأهل السنة على اتصافهم بذلك، فيكون هذا المعنى هو المراد في الحديث، لوجود مصاديق له دون المعنى الأوّل.

فعندما نراجع كلمات علماء المسلمين من الطرفين - السنة والشيعة - نجد إجماعاً واضحاً على صلاح وإمامة اثني عشر إماماً من أهل البيت عليهم السلام دون غيرهم، هم: عليّ بن أبي طالب، والحسن بن عليّ، والحسين بن عليّ، وعليّ بن الحسين السجاد، ومحمّد بن عليّ الباقر، وجعفر بن محمّد الصادق، وموسى بن جعفر الكاظم، وعليّ بن موسى الرضا، ومحمّد بن عليّ الجواد، وعليّ بن محمّد الهادي، والحسن بن عليّ العسكري، ومحمّد بن الحسن المهدي (عليهم السلام أجمعين)... وبالتالي يكون هؤلاء هم المقصودون بحديثي: الثقلين، وحديث الخلفاء من بعدي اثنا عشر؛ لأنّه لم تجتمع الأمة قاطبة (سنة وشيعة) على صلاح جماعة وثبوت إمامتهم العلمية والدينية كما اجتمعت على هؤلاء الاثني عشر.

وقد تسأل هنا: وهل توجد نصوص نبوية ذكرت هؤلاء الأئمة بأسمائهم؟

أقول: تابعوا معنا إثبات أسماء الأئمة الاثني عشر بدليلي النقل والعقل إضافة إلى إجماع المسلمين.

## إثبات أسماء الخلفاء الاثني عشر من خلال دليلي النقل والعقل وإجماع المسلمين:

وحيث وصلنا إلى هنا فلا بأس أن نتطرق إلى إثبات أسماء الأئمة الاثني عشر بدليلي النقل والعقل إضافة إلى إجماع المسلمين.

وقبل أن نتطرق إلى بيان هذه الأسماء المباركة للخلفاء الاثني عشر من أهل البيت الذين هم محصلة الجمع بين حديث الثقلين وحديث (الخلفاء من بعدي اثنا عشر) نشير إلى هذه الحقيقة العلمية الثابتة، وهي أن هؤلاء الخلفاء من حيث العدد (وهو كونهم اثني عشر خليفة لا غير)، ومن حيث الصفات (أنهم من قريش، وأن خلافتهم تستمر إلى يوم القيامة، وأنهم صالحون) أمر متفق عليه، وهذا المعنى بالغ حدّ التواتر فيما نقلناه من أحاديث ذكرتها المتون الحديثية عند أهل السنّة كصحيحي البخاري ومسلم ومسند أحمد وكلمات الأعلام منهم فضلاً عما ذكره الشيعة الإمامية في متونهم الحديثية من حيث عدد هؤلاء الخلفاء (الأئمة) وصفاتهم أيضاً، فلم يبق أمامنا - بعد تواتر العدد والصفات - إلا أن نثبت أسمائهم المباركة فقط، وهذا الأمر يمكن تحصيله من طرق ثلاثة:

١ - النصوص النبويّة الواردة في كتب الفريقين باسمائهم.

٢ - الدليل العقلي على تعيين أسمائهم.

### ٣- إجماع المسلمين على إمامتهم الدينية وصلاحهم.

الطريق الأوّل، وهو الدليل النقلّي: النصوص النبوية الواردة في كتب الفريقين باسمائهم:

١- جاء في كتب الفريقين أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال للحسين عليه السلام: «أنت إمام ابن إمام أخو إمام، أنت حجّة ابن حجّة أخو حجّة، وأنت أبو حجج تسع تسعهم قائمهم».

فهذا الحديث النبوي الشريف نصّ على إمامة اثني عشر إماماً من أئمة أهل البيت عليهم السلام أوّلهم أمير المؤمنين عليه السلام وآخرهم القائم المهدي عليه السلام، وهو مطابق تماماً للجمع العرفي المتقدّم بين حديثي الثقلين والخلفاء من بعدي اثنا عشر من حيث العدد والصفات.

من مصادر أهل السنّة التي ذكرت هذا الحديث النبوي: "المناقب" للخوارزمي الحنفي<sup>(١)</sup>، و"ينابيع المودّة" للقندوزي الحنفي<sup>(٢)</sup>.

والخوارزمي الحنفي قال الذهبي عنه في "تاريخ الإسلام": «أبو المؤيد المكي، العلامة خطيب خوارزم، كان أديباً، فصيحاً مفوهاً، خطب بخوارزم دهرأ، وأنشأ الخطب، وأقرأ الناس، وتخرج به جماعة»<sup>(٣)</sup>. انتهى

(١) المناقب: ١٤٦.

(٢) ينابيع المودّة ٣: ٣٩٤.

(٣) تاريخ الإسلام ٣٩: ٣٢٦.

وقال عنه في كتابه "المختصر من تاريخ ابن الديبشي": «الموفق بن أحمد بن محمد المكي أبو المؤيد خطيب الخوارزم: أديب فاضل بارع خطب بجامع خوارزم مدة طويلة وأنشأ الخطب وأقرأ الناس وتخرج به جماعة»<sup>(١)</sup>. انتهى

وقال عنه الحافظ جلال الدين السيوطي في كتابه "بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة": «الموفق بن أحمد بن أبي سعيد اسحاق أبو المؤيد المعروف بأخطب خوارزم. قال الصفدي: كان متمكنا "في العربية غزير العلم فقيها" فاضلا اديبا "شاعرا" قرأ على الزمخشري وله خطب وشعر. قال القفطي: وقرأ عليه ناصر المطرزي. ولد في حدود سنة أربع وثمانين وأربعمائة ومات سنة ثمان وستين وخمسائة»<sup>(٢)</sup>. انتهى

وقال عنه الفاسي المكي في كتابه "العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين": «الموفق بن أحمد بن محمد المكي أبو المؤيد العلامة خطيب خوارزم كان اديبا فصيحاً "مفوها" خطب بخوارزم دهرا وأنشأ الخطب وأقرأ الناس وتوفي بخوارزم في صفر سنة ثمان وستين وخمسائة، هكذا الذهبي ذكره في تاريخ الإسلام وذكره الشيخ محيي الدين عبد القادر الحنفي في "طبقات الحنفية" ... من مؤلفاته مناقب الإمام أبي حنيفة»<sup>(٣)</sup>. انتهى.

أمّا الشيخ سليمان الحنفي القندوزي صاحب كتاب "ينابيع

(١) المختصر من تاريخ ابن الديبشي: ٣٤٩.

(٢) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ٢: ٣٠٨.

(٣) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ٧: ٣١٠.

المودّة"، فقد قال عنه إسماعيل باشا البغدادي صاحب "هدية العارفين":  
«القندوزي: سليمان بن خواجه كلان إبراهيم بن بابا خواجه القندوزي  
البلخي، الصوفي، الحسيني، نزيل القسطنطينية، ولد سنة ١٢٢٠، وتوفي  
١٢٩٤، له: أجمع الفوائد، مشرق الأكوان، ينابيع المودّة في شمائل  
النبي ﷺ وأخبار أهل البيت في مجلد مطبوع»<sup>(١)</sup>. انتهى، كما ذكره  
إسماعيل باشا وذكر كتابه الينابيع في كتابه الآخر "إيضاح المكنون"<sup>(٢)</sup>.

وقال عنه صاحب "معجم المؤلفين" عمر رضا كحالة: «سليمان  
بن إبراهيم، القندوزي، البلخي، الحسيني، صوفي، من تصانيفه: أجمع  
الفوائد، مشرق الأكوان، ينابيع المودّة لذوي القرى»<sup>(٣)</sup>. انتهى

وذكره أيضاً صاحب "معجم المطبوعات"<sup>(٤)</sup>.

والقندوزي هو من علماء أهل السنّة، نصّ على ذلك مركز الفتوى  
بالشبكة الإسلامية (إسلام ويب)، الذي هو هيئة شرعية بإشراف إدارة  
الدعوة والإرشاد الديني بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة  
قطر، راجع الفتوى برقم: ٥٢١٦٣ تحت تصنيف مذاهب أخرى  
بتاريخ: الثلاثاء ١ رجب ١٤٢٥.

أمّا الشيعة الإمامية فقد رووا الحديث المتقدّم في جملة من كتبهم،

(١) هدية العارفين ١: ٤٠٨.

(٢) إيضاح المكنون ٢: ٧٣١.

(٣) معجم المؤلفين ٤: ٢٥٢.

(٤) معجم المطبوعات ١: ٥٦٨.

نذكر منها: "الخصال" و"إكمال الدين" و"عيون أخبار الرضا عليه السلام"<sup>(١)</sup> - كلّها للشيخ الصدوق -، يذكره بسند صحيح في هذه الكتب كلّها، و"كفاية الأثر" للخزاز القمي<sup>(٢)</sup>. يذكره بسند صحيح أيضاً، وغيرها من المصادر.

٢- جاء في كتب الفريقين أنّ النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: أنا وعليّ والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهرون معصومون.

وهذا الحديث النبوي الشريف مطابق أيضاً للجمع المتقدّم من حيث العدد والصفات، وصفة العصمة التي أشار إليها الحديث وردت في حديث الثقلين بشكل واضح وصريح حين صرح بعدم مفارقة القرآن للعترة إلى يوم القيامة، فالذي لا يفارق القرآن ولا يفارقه طرفة عين أبداً لا بدّ أن يكون معصوماً؛ لأنّ صدور المعصية من أيّ شخص معناه أنّه فارق القرآن وخالفه، وحديث الثقلين قد نصّ بشكل واضح وصريح بأنّ القرآن والعترة لن يفترقا إلى يوم القيامة، وهذا يعني عصمة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، وهو ما استفاده جمع من علماء أهل السنّة عند شرحهم لحديث الثقلين، هذه بعض كلماتهم:

قال السيوطي قى صدر رسالته "الأساس": « الحمد لله الذي وعد هذه المحمدية بالعصمة من الضلالة ما ان تمسكت بكتابه وعترة نبيّه وخصّ آل البيت النبوي من المناقب الشريفة ما قامت عليه الأحاديث

(١) الخصال: ٤٧٥، إكمال الدين: ٢٦٢، عيون أخبار: ١: ٥٦.

(٢) كفاية الأثر: ٤٧.

الصحيحة بساطع البرهان وجليه». انتهى

وقال التفتازاني بعد ذكره لحديث الثقلين: «ألا يرى أنه (صلى الله عليه وسلم) قرنهم بكتاب الله تعالى في كون التمسك بهما منقذاً عن الضلالة ولا معنى للتمسك بالكتاب إلا الأخذ به بما فيه من العلم والهداية فكذا في العترة»<sup>(١)</sup>. انتهى

وعن الزرقاني المالكي في شرحه على المواهب اللدنية: «قال الحكيم الترمذي: حُضَّ على التمسك بهم لأنَّ الأمر لهم معاينة، فهم أبعد عن المحنة»<sup>(٢)</sup>. انتهى

وعن الدهلوي في "التحفة الاثنا عشرية": «هذا الحديث - أي: حديث الثقلين - ثابت عند الفريقين: أهل السنة والشيعة، وقد علم منه أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أمرنا في المقدمات الدينية والأحكام الشرعية بالتمسك بهذين العظيمين القدر، والرجوع إليهما في كل أمر فمن كان مذهبه مخالفاً لهما في الأمور الشرعية اعتقاداً وعملاً فهو ضال ومذهبه باطل لا يعبأ به ومن جحد بهما غوى ووقع في مهاوي الردى»<sup>(٣)</sup>. انتهى

فهذه البيانات من علماء أهل السنة لحديث الثقلين تبين بشكل واضح وصريح أن المتبع للعترة والقرآن لا يضل أبداً وأن المخالف لهما

(١) شرح المقاصد ٣: ٥٢٩.

(٢) شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية ٩: ٢٤٦.

(٣) مختصر التحفة الاثني عشرية: ٥٢، والدهلوي هو شاه عبد العزيز (١١٥٩ - ١٢٣٩) كبير علماء الهند من أهل السنة في عصره.

من الهالكين وهي تدلّ دلالة واضحة على عصمة العترة، فلو لم تكن العترة معصومة من الخطأ لم يأمرنا الله بإتباعها والتمسك بها بحيث يكون هذا الإلتباع والتمسك بها على وزان التمسك بالقرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

والحديث النبوي المتقدّم رواه من أهل السنّة: الإمام الحموي الشافعي في كتابه "فرائد السمطين"<sup>(١)</sup>، والحافظ القندوزي الحنفي في "ينابيع المودّة"<sup>(٢)</sup>.

والإمام الحموي هو شيخ الذهبي، قال عنه في "تذكرة الحفاظ": «سمعت من الإمام المحدث الأوحّد الأكمّل فخر الإسلام صدر الدين إبراهيم بن حمد بن حمويه الخراساني الجويني شيخ الصوفية، قدم علينا طالب حديث وروى لنا عن رجلين من أصحاب المؤيد الطوسي وكان شديد الاعتناء بالرواية وتحصيل الأجزاء، حسن القراءة، مليح الشكل مهيباً ديفناً صالحاً، وعلى يده أسلم غازان الملك مات سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة وله ثمان وسبعون سنة رحمه الله تعالى»<sup>(٣)</sup>. انتهى

والإمام الحموي هو من علماء أهل السنّة أيضاً، كما جاء في الفتوى الصادرة عن مركز الفتوى بالشبكة الإسلامية (إسلام ويب)، الذي هو هيئة شرعية بإشراف إدارة الدعوة والإرشاد الديني بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر (راجع الفتوى برقم: ٥٢١٦٣

(١) فرائد السمطين ٢: ١٣٣ برقم: ٤٣٠.

(٢) ينابيع المودّة ٣: ١٦٢ باب ٩٤.

(٣) تذكرة الحفاظ ٤: ١٥٠٥.

تحت تصنيف مذاهب أخرى بتاريخ: الثلاثاء ١ رجب ١٤٢٥).

وجاء في ترجمته في "معجم المؤلفين" لعمر كحالة: «إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن محمد حمويه الجويني، الشافعي (أبو إسحاق) من محدثي خراسان. مات في خامس المحرم. له من المصنفات: فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين»<sup>(١)</sup>. انتهى

ومن الشيعة الإمامية: رواه الشيخ الصدوق في كتابه: "عيون أخبار الرضا عليه السلام"، و "إكمال الدين"<sup>(٢)</sup>، ورواه الخزاز القمي في "كفاية الأثر"<sup>(٣)</sup>. والرواية معتبرة الإسناد<sup>(٤)</sup>.

٣- جاء في كتب الفريقين أحاديث متعددة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه ذكرهم بأسمائهم واحداً واحداً، منها ما ورد عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: إن وصيي والخليفة من بعدي علي بن أبي طالب، وبعده سبطاي الحسن والحسين، تتلوه تسعة أئمة من صلب الحسين... إذا مضى الحسين فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه محمد، فإذا مضى محمد فابنه جعفر، فإذا مضى جعفر فابنه موسى، فإذا مضى موسى فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه الحسن، فإذا مضى الحسن فابنه الحجة محمد المهدي، فهؤلاء اثنا عشر إماماً على عدد نساء بني إسرائيل.

من ذكر ذلك من أهل السنة: الحمويني الشافعي في "فرائد

(١) معجم المؤلفين ١: ٨٩.

(٢) عيون الأخبار ١: ٦٦، إكمال الدين: ٢٨٠.

(٣) كفاية الأثر: ١٩.

(٤) راجع موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام للشيخ هادي النجفي ٧: ١٨٣.

السمطين<sup>(١)</sup>، والقندوزي الحنفي في "ينابيع المودّة"<sup>(٢)</sup> يرويه عن مجاهد عن ابن عباس.

وكذلك يرويه عن مناقب الخوارزمي عن جابر بن عبد الله الأنصاري<sup>(٣)</sup>، ويرويه أيضاً عن المناقب عن أبي الطفيل عامر بن واثلة مع اختصار للأسماء<sup>(٤)</sup>.

ومن الشيعة الإمامية: ذكره الفضل بن شاذان بسنده عن عكرمة عن ابن عباس<sup>(٥)</sup>.

والخزار القمي في "كفاية الأثر" بسنده عن مجاهد عن ابن عباس<sup>(٦)</sup>.

هذا، وقد ذكر المرجع الديني الشيخ جواد التبريزي قدّس سرّه في كتابه "رسالة مختصرة في النصوص الصحيحة على إمامة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام" وكذلك الشيخ الماحوزي في كتابه: "أربعون حديثاً معتبراً في النصّ على الأئمة الاثني عشر باسمائهم"، جملة من الأحاديث الصحيحة والمعتبرة في النصّ على هؤلاء الأئمة الاثني عشر باسمائهم من مصادر الحديث عند الشيعة الإمامية، نذكر منها هنا حديثين فقط،

(١) فرائد السمطين ٢: ١٣٣ برقم: ٤٣١.

(٢) ينابيع المودّة ٣: ٢٨٢، الباب ٧٦.

(٣) المصدر السابق: ٢٨٣.

(٤) المصدر السابق: ٢٨٥.

(٥) راجع: أربعون حديثاً معتبراً في النصّ على الأئمة الاثني عشر باسمائهم: ٧٤.

(٦) كفاية الأثر «: ١٣»، وانظر كذلك: أربعون حديثاً معتبراً في النصّ على الأئمة الاثني عشر باسمائهم: ٧٥. وراجع أيضاً: جامع أحاديث الشيعة ١: ٥٥.

ويمكن مراجعة بقية الأحاديث - وهي بالعشرات - في المصدرين المذكورين:

الأوّل: فيما رواه المحمّدون الثلاثة (الكليني والصدوق والطوسي رضوان الله عليهم) بأسانيدهم إلى عبد الله بن جندب عن الإمام الكاظم عليه السلام أنه قال: تقول في سجدة الشكر: (اللهم إني أشهدك، وأشهد ملائكتك وأنبياءك ورسلك وجميع خلقك، أنك أنت الله ربّي، والاسلام ديني، ومحمّدا نبيني، وعليا والحسن والحسين وعليّ بن الحسين ومحمّد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعليّ بن موسى ومحمّد بن عليّ وعليّ بن محمّد والحسن بن عليّ والحجّة بن الحسن بن علي أئمتي، بهم أتولى ومن أعدائهم أتبرأ) <sup>(١)</sup>.

وهنا نؤكد على أمرين:

الأوّل: أن أحاديث الأئمة (عليهم السلام) عند الشيعة الإمامية هي أحاديث جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم كما تشهد لذلك النصوص الصحيحة عندهم، منها هذا الحديث الصحيح الذي يرويه الشيخ الكليني بسنده عن حماد بن خلف الكوفي عن الإمام الكاظم عليه السلام: «قلت: فرغ يده إلى السماء، وقال: والله ما أخبرك إلا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم عن جبرئيل عن الله عزّ وجل» <sup>(٢)</sup>.

(١) راجع: وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة ٧: ١٥، ورسالة مختصرة في النصوص الصحيحة على إمامة الأئمة الاثني عشر: ١٦، وأربعون حديثاً معتبراً في النصّ على الأئمة الاثني عشر باسمائهم: ٣١.

(٢) الكافي ٣: ٩٤، مرآة العقول ١٣: ٢٣١.

الثاني: شهادة المخالفين لمحدثي الشيعة (كالكليني والصدوق والطوسي) بصدق نقلهم عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام). (راجع فيما نقلناه سابقاً عن ابن تيمية في كتابه "مسألة تعليق الطلاق"، وابن قيم الجوزية في كتابه "الصواعق المرسلّة")

الحديث الثاني: وهو الحديث المروي بسندين أحدهما صحيح عال، والثاني حسن على الصحيح:

- الفضل بن شاذان عن محمد بن إسماعيل بن بزيع، عن حماد بن عيسى، عن الصادق عن آبائه (عليهم السلام).

- وعن محمد بن إسماعيل بن بزيع، عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني، عن أبان بن أبي عياش، عن سليم بن قيس عن عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في حديث طويل إلى أن قال (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي: لست أتخوف عليك النسيان والجهل، ولكن اكتب لشركائك الذين من بعدك، قال: قلت يا رسول الله ومن شركائي؟ قال: الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك، قال: قلت: من هم يا رسول الله؟ قال: الذين قال الله عزّ وجلّ فيهم (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) قال: قلت: يا رسول الله من هم؟ قال: الأوصياء من بعدي، لا يفترقون حتى يردوا عليّ الحوض، هادين مهدين، لا يضرّهم كيد من كادهم، ولا خذلان من خذلهم، هم مع القران والقران معهم، لا يفارقونه ولا يفارقهم.

قلت: يا رسول الله سمّهم لي؟

قال: أنت يا عليّ، ثمّ ابني هذا - ووضع يده على رأس الحسن، ثمّ ابني هذا - ووضع يده على راس الحسين، ثمّ سميك يا أخي هو السيد زين العابدين، ثمّ ابنه سمّي محمّد باقر علمي وخازن وحي الله، وسيولد عليّ في زمانك يا أخي فاقراه مني السلام، وسيولد محمّد في حياتك يا حسين فاقراه مني السلام، ثمّ جعفر، ثمّ موسى بن جعفر، ثمّ عليّ بن موسى، ثمّ محمّد بن علي، ثمّ علي بن محمّد، ثمّ الحسن بن عليّ الزكي، ثمّ من اسمه اسمي ولونه لوني، القائم بأمر الله في آخر الزمان، المهدي الذي يملأ الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت قبله ظلماً وجوراً<sup>(١)</sup>.

وراوي هذا الحديث عند الحرّ العاملي هو الفضل بن شاذان، أبو محمّد الأزدي النيسابوري، المتوفي ٢٦٠ هجري، ثقة عين جليل عظيم بالاتفاق، من أصحاب الأئمة الرضا والجواد عليهما السلام، الأمر الذي يعني أن أحاديث الأئمة الاثني عشر واسمائهم كانت معلومة ومتداولة بين أصحاب الأئمة قبل الغيبة الصغرى للإمام الثاني عشر - التي حصلت عام ٢٦٠ هجري - وهو الإمام المهدي عليه السلام.

(١) أربعون حديثاً معتبراً في النصّ على الأئمة الاثني عشر باسمائهم: ٣٩، وقد نقل الشيخ الماحوزي مصادر هذا الحديث عند الشيعة الإمامية، وهي: الاعتقادات للشيخ الصدوق والتعليق عليه للشيخ المفيد: ١٢٢، إثبات الهداة للحرّ العاملي ٣: ٥٤٤، وللحرّ سند متصل إلى الفضل بن شاذان يمرّ عبر أعيان الطائفة وأجلاتها، كتاب سليم بن قيس الهلالي: ٢٣٦ واختصر الأسماء.

قال: ورواه شيخ القميين والد الصدوق قدّس سرّه بسند آخر صحيح واختصر الأسماء في الإمامة والتبصرة: ٥٤، وعنه الصدوق في: العلل: ٢٠٨، والأمالي: ٤٨٥، وإكمال الدين: ٢٠٦.

قال الشيخ النجاشي في ترجمة الفضل بن شاذان: «روى عن أبي جعفر الثاني - الجواد - عليه السلام، وقيل عن الرضا عليه السلام، وكان ثقة، أحد أصحابنا الفقهاء المتكلمين، وله جلاله في هذه الطائفة وهو في قدره أشهر من أن نصفه»<sup>(١)</sup>. وقد عدّ من كتبه كتاب: إثبات الرجعة، الذي ينقل عنه الحرّ العاملي بسند متصل عن أعيان الطائفة في كتابه "إثبات الهداة".

وقال العلامة الحليّ قدّس سرّه عن الفضل بن شاذان: هذا الشيخ أجلّ من أن يغمز عليه فإنّه رئيس طائفتنا<sup>(٢)</sup>. انتهى

هذه جملة مختصرة من الأحاديث النبوية المروية في أسماء الأئمة الاثني عشر عليهم السلام في مصادر الفريقين، ولا يستغرب البعض انحسارها عن المتون الحديثية المعروفة عند أهل السنّة كالبخاري وغيره فقد كانت السلطات الحاكمة آنذاك تعدّ التصريح باسمائهم مخالفة صريحة لنظام حكمهم، لذا ابتعد المحدثون عن ذكر هذه الأحاديث النبوية في متونهم الحديثية حتّى لا يتعرّضوا للمساءلة، وإذا راجعت ترجمة الذهبي لهؤلاء الأئمة، خاصّة ترجمته للإمامين الحسن والحسين والإمام الباقر والإمام الصادق والإمام الكاظم عليهم السلام تجده يشير إلى موضوع الخلافة هذا بكلّ وضوح، فهو حين ترجم للإمامين الحسن والحسين عليهما السلام، قال: «لو استخلفا لكانا أهلاً لذلك»، وحين ترجم للإمام الباقر عليه السلام، قال: «يصلح للخلافة»، وحين ترجم للإمام الصادق عليه السلام، قال:

(١) رجال النجاشي: ٣٠٦ رقم ٨٤٠.

(٢) خلاصة الأقوال: ٢٢٩.

«كان أولى بالأمر من أبي جعفر المنصور»، وحين ترجم للإمام الكاظم عليه السلام، قال: «أولى بالخلافة من هارون»<sup>(١)</sup>، الأمر الذي يكشف على أنّ ذكر هؤلاء الأئمة عليهم السلام لا يرتبط بالجنبة الفقهية والتشريعة فقط بل يتعداه إلى الجنبة التنفيذية واستلام السلطة، وإلا فما الموجب للذهبي أن يذكر هذه التصريحات التي تتعلّق بالخلافة في تراجمهم ولم يترجم لهم كما يترجم لبقية الصحابة والتابعين وأئمة المذاهب، الذين يكتفى بالنصّ على فضلهم أو إمامتهم الدينية والفقهية دون الإشارة للجنبة السياسية!!؟

فالموضوع بالنسبة لهؤلاء الأئمة يتعلّق بجنبة سياسية واضحة، لم يستطع المؤرخون تجاوزها أو اخفاؤها، ومن هنا انحسرت الأحاديث النبوية التي جاءت بذكر اسمائهم في الكتب الحديثية المعروفة عند أهل السنّة حتّى لا يتعرّض المحدثون للمساءلة بسببها من السلطات الحاكمة آنذاك، كما انحسرت الكثير من الأحاديث التي تتعلّق بفضائل أهل البيت عليهم السلام وشمائهم للغرض المذكور أعلاه.

وليس ما جرى بحقّ المحدثّ النسائي وابن السقاء والحاكم النيسابوري إلّا نماذج يسيرة للظرف الذي كان يعيشه المحدثون آنذاك إذا جاؤا بذكر فضائل أهل البيت عليهم السلام في كتبهم وأحاديثهم فضلاً عن ذكر النصوص الدالة على خلافتهم وإمامتهم السياسية والدينية معاً.

فالمحدثّ النسائي كان قد صنّف كتاباً سماه "خصائص أمير

(١) سير أعلام النبلاء ١٣: ١٢٠.

المؤمنين عليّ بن أبي طالب"، كان سبباً لتحامل البعض عليه وسبباً لاستشهاده فيما بعد.

قال المزي في "تهذيب الكمال": «وسمعت قوماً ينكرون عليه كتاب "الخصائص" لعليّ رضي الله عنه وتركه لتصنيف فضائل أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، ولم يكن في ذلك الوقت صنفها»<sup>(١)</sup>.

وقال ابن كثير وهو يتحدث عن النسائي: «قال الدارقطني: كان أفقه مشايخ مصر في عصره، وأعرفهم بالصحيح من السقيم من الآثار، وأعرفهم بالرجال، فلما بلغ هذا المبلغ حسدوه فخرج إلى الرملة، فسئل عن فضائل معاوية فأمسك عنه فضربوه في الجامع، فقال: أخرجوني إلى مكة، فأخرجوه وهو عليل، فتوفي بمكة مقتولاً شهيداً، مع ما رزق من الفضائل رزق الشهادة في آخر عمره»<sup>(٢)</sup>.

وقال في موضع آخر من كتابه: «أنّه إنّما صنف الخصائص في فضل علي وأهل البيت، لأنّه رأى أهل دمشق حين قدمها في سنة ثنتين وثلاثمائة عندهم نفرة من علي، وسألوه عن معاوية فقال ما قال، فدققوه في خصيته فمات. وهكذا ذكر ابن يونس وأبو جعفر الطحاوي: أنّه توفي بفلسطين في صفر من هذه السنة»<sup>(٣)</sup>. انتهى

أمّا ابن السقاء، فقد ذكره الذهبي قائلاً: «ابن السقاء الحافظ الإمام

(١) تهذيب الكمال ١: ٣٣٨.

(٢) البداية والنهاية ١١: ١٤١.

(٣) البداية والنهاية ١١: ١٤١.

محدث واسط أبو محمد عبد الله بن محمد بن عثمان الواسطي... وقال علي بن محمد الطيب الجلابي في تاريخه: ابن السقاء من أئمة الواسطيين والحفاظ المتقين... واتفق انه أملى حديث الطير فلم تحتمله نفوسهم فوثبوا به وأقاموه وغسلوا موضعه فمضى ولزم بيته فكان لا يحدث أحداً من الواسطيين، فلهذا قلّ حديثه عندهم»<sup>(١)</sup>. انتهى

أمّا الحاكم النيسابوري فقد ذكره الخطيب البغدادي قائلاً: «جمع الحاكم أبو عبد الله أحاديث زعم أنّها صحاح على شرط البخاري ومسلم يلزمهما إخراجها في صحيحيهما، منها حديث الطائر «ومن كنت مولاه فعلي مولاه» فأنكر عليه أصحاب الحديث ذلك ولم يلتفتوا فيه إلى قوله، ولا صوبوه في فعله»<sup>(٢)</sup>. انتهى

وجاء عن الذهبي قوله فيه: «كان منحرفاً غالباً عن معاوية وأهل بيته، يتظاهر به ولا يعتذر منه. فسمعت أبا الفتح سمكويه بهراة يقول: سمعت عبد الواحد المليحي يقول: سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول: دخلت على أبي عبد الله الحاكم وهو في داره لا يمكنه الخروج إلى المسجد من أصحاب أبي عبد الله بن كرام، وذلك أنّهم كسروا منبره ومنعوه من الخروج، فقلت له: لو خرجت وأملت في فضائل هذا الرجل شيئاً لاسترحت من هذه المحنة. فقال: لا يجيء من قلبي، لا يجيء من قلبي»<sup>(٣)</sup>.

(١) تذكرة الحفاظ ٣: ٩٦٥ - ٩٦٦، وراجع أيضاً: سير أعلام النبلاء - له أيضاً - ١٦: ٣٥٢.

(٢) تاريخ بغداد ٣: ٩٤.

(٣) تاريخ الإسلام ٢٨: ١٣٢.

وهذا التصرف من أصحاب الحديث بحق الحاكم النيسابوري ومعاداته، وهو المعروف بعلمه وفضله، بجانب للصواب، وينم عن عصبية واضحة لا علاقة لها بالعلم والحديث النبوي، وإلا فهذين الحديثين - اللذين كانا محلّ اعتراض أصحاب الحديث - ممن نصّ على صحتها بل تواتر الحديث الثاني جملة من علماء الحديث عند أهل السنة، إليك كلماتهم:

أمّا حديث الطير الوارد فيه أنّه أهدي لرسول الله ﷺ طيراً طعاماً فقال: اللهم أدخل عليّ أحبّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير فدخل عليّ ﷺ.

قال الهيثمي في "مجمع الزوائد": «رواه البزار والطبراني باختصار ورجال الطبراني رجال الصحيح غير فطر بن خليفة وهو ثقة»<sup>(١)</sup>. انتهى وجاء في كتاب "الأحاديث التي صُححت في فضل الآل" لأمين بن صالح الحذاء الذي قال في أوّل كتابه: «لم أدخل فيها إلا حديثاً صححه عالم فأكثر من علماء الحديث، حتّى يكون ادعى للقبول»، وكان من الأحاديث التي ذكرها حديث الطير<sup>(٢)</sup>.

وجاء عن الذهبي في "تذكرة الحفاظ" في دفاعه عمّا اتهم به الحاكم في هذين الحديثين: «أمّا حديث الطير فله طرق كثيرة جداً قد أفردتها بمصنف ومجموعها هو يوجب أن يكون الحديث له أصل، وأمّا

(١) مجمع الزوائد ٩: ١٢٦.

(٢) راجع: الأحاديث التي صُححت في فضل الآل: ١٢٣.

حديث: من كنت مولاه فله طرق جيدة وقد أفردت ذلك أيضاً<sup>(١)</sup>.

أمّا حديث: (من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه)، فهو من المتواتر اللفظي، نصّ على ذلك جمع كبير من علماء أهل السنة، نذكر منهم:

- السيوطي في "قطف الأزهار". (قطف الأزهار المتناثرة في

الأحاديث المتواترة: ٢٢٧)

- الذهبي في "سير أعلام النبلاء". (سير أعلام النبلاء ٨: ٣٣٥)

- الكتاني في "نظم المتناثر". (نظم المتناثر من الحديث المتواتر: ٢٠٦)

- الزبيدي في "لقط اللالئ المتناثرة". (لقط اللالئ المتناثرة في

الأحاديث المتواترة: ٢٠٥)

- الألباني في "سلسلة الأحاديث الصحيحة" (سلسلة الأحاديث

الصحيحة ٤: ٣٤٣)، وغيرهم كثير...

فهذه عينة يسيرة جداً مما كان يعانيه المحدثون من بطش الأمويين

وظلمهم وبتش النواصب وبغضهم الذي كانوا يعادون أهل البيت

عليه السلام ويحاربونهم، فما بالك لو جاء المحدثون بالأحاديث النبوية التي

تنصّ على خلافتهم وإمامتهم، ماذا تتوقع أن يكون مصيرهم بأفضل

من مصير النسائي وابن السقاء والحاكم النيسابوري!!؟

ومن أسباب انحسار الأحاديث النبوية وعدم نقلها كلّها - إضافة

(١) تذكرة الحفاظ ١: ١٠٢٤.

لما أشرنا إليه - أساليب الحرق والمنع والتهديد التي طالت الحديث النبوي نفسه بعد وفاة النبي ﷺ مباشرة<sup>(١)</sup>، فضلا عن طبيعة الصحابة أنفسهم الذين سمعوا هذه الأحاديث وتقاوسوا عن نقلها للآخرين إمّا خوفاً أو بغضاً.

فمن مصاديق الأمر الأول (الخوف) ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة، قال: حفظت عن رسول الله وعائين، فأما أحدهما فبثته وأما الآخر فلو بثته قطع هذا البلعوم<sup>(٢)</sup>.

وهذه تقيّة واضحة من أبي هريرة أنه كان يخشى على نفسه من القتل لو تكلم ببعض الأحاديث التي سمعها من النبي ﷺ، فأثر السكوت وعدم الإفصاح عنها حتى لا يتعرّض للقتل.

ومن مصاديق الأمر الثاني (البغض)، ما ذكره ابن الأثير في "أسد الغابة": «قال أبو إسحاق وحدثني من لا أحصي أنّ علياً نشد الناس في الرحبة من سمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه فقام نفر فشهدوا أنّهم سمعوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنتم قوم فما خرجوا من الدنيا حتى عموا وأصابتهم آفة منهم يزيد بن وداعة وعبد الرحمن بن مدلج»<sup>(٣)</sup>. انتهى

(١) راجع تفاصيل ذلك في كتاب: منع تدوين الحديث، للسيد علي الشهرستاني.

(٢) صحيح البخاري ١: ٣٨، باب حفظ العلم.

(٣) أسد الغابة ٣: ٣٢١.

وفي "مسند أحمد": «فقام إلا ثلاثة لم يقوموا فدعا عليهم فاصابتهم دعوته»<sup>(١)</sup>.

نضيف إلى ذلك طبيعة المحدثين أنفسهم وتطيفهم في نقل الأحاديث، فقد كانوا يكيلون بمكيالين، يدفعهم إلى ذلك التعصب المقيت والمذهبية البغيضة، فتراهم يرفضون الحديث النبوي الذي يأتي به شخص يتكلم في مثالب الشيخين أبي بكر وعمر بغض النظر عن صدق الشخص وضبطه - اللذان هما أساس العبرة في رواية الحديث كما يصرح به الألباني وغيره<sup>(٢)</sup> -، بينما يقبلون الحديث من الناصبي الذي ينال من الإمام عليّ عليه السلام ويتحامل عليه، فانظر إلى كلام الحافظ عبد الرحيم بن الحسين العراقي (المتوفى ٨٠٦) في أجوبته على أسئلة تلميذه ابن حجر العسقلاني، يقول العسقلاني: «وسألت: عمّن عرف بالتعصّب ممّن يتكلم في الجرح و التعديل، هل يقبل تضعيفه وحده لمن يخالفه في معتقده كعبد الرحمن بن يوسف بن خراش ونحوه؟

والجواب: إنّه لا ينبغي الاعتماد على من هذا حاله لأنّه رافضي، جمع مثالب الشيخين رضي الله عنهما، وأمّا الجوزاني السعيدي فالناس يعتمدون كلامه، وإنما كان يرى النصب وهو التمايل على علي رضي الله عنه، وكان ذلك الغائب على أهل دمشق في زمن بني أمية...»<sup>(٣)</sup>.

(١) مسند أحمد ١: ١١٩، وهو ما رواه ابن كثير عن مسند أحمد في: البداية والنهاية ٥: ٢١١، ورواه أيضاً في: السيرة النبوية ٤: ٤٢٠.

(٢) قال الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» ٥: ٢٦٢: «العبرة في رواية الحديث إنّها هو الصدق والحفظ، وأمّا المذهب فهو بينه وبين ربّه فهو حسيبه».

(٣) أجوبة الحافظ العراقي على أسئلة تلميذه، تحقيق عبد الرحيم القشقري، ١٤٦ ط الأولى، مكتبة أضواء السلف.

وجاء عن العلامة أبي الفرج ابن الجوزي في كتابه "التحقيق في أحاديث الخلاف": «وألوم عندي ممن قد لعنه من الفقهاء: جماعة من المحدثين، عرفوا صحيح النقل وسقيمه، وصنفوا في ذلك، فإذا جاء حديث ضعيف يخالف مذهبهم بينوا وجه الطعن فيه، وإن كان موافقاً لمذهبهم سكتوا عن الطعن فيه، وهذا ينبىء عن قلة دين وغلبة هوى»<sup>(١)</sup>. انتهى

فهذه الأسباب - ويوجد غيرها أيضاً - هي التي أدت إلى انحسار الأحاديث النبوية التي كانت تتناول فضائل أهل البيت عليهم السلام فضلاً عن ذكر الأسماء المباركة للأئمة عليهم السلام في المتون الحديثية عند أهل السنة.

ولكن مع ذلك فقد حافظ أتباع أهل البيت عليهم السلام على النصوص النبوية الواردة في هذا الجانب ودونوها في كتبهم ونقلوها للأجيال اللاحقة بعدهم، كما تجرأ على ذكرها جملة من علماء أهل السنة الذين كانوا في مأمن بعض الشيء من سطوة النواصب وتهجمهم، وبهذا خرجت هذه النصوص من الدائرة المذهبية إلى الدائرة الإسلامية الأوسع، الأمر الذي يشهد على أنها ليست من مختصات الشيعة الإمامية ومروياتهم فقط، بل هي أحاديث نبوية رواها الصحابة والأئمة عليهم السلام عن النبي صلوات الله وسلامته عليه، وإن كان يكفينا تواتر العدد والصفات لهؤلاء الأئمة عليهم السلام الوارد ذكرها في كتب الحديث المعروفة عند الفريقين، الأمر الذي لا يتطلب كثير عناء من المسلم الحاذق إذا أراد معرفة المصاديق الخارجية لها عند تطبيقه للعدد والصفات من خلال

(١) التحقيق في أحاديث الخلاف: ٢٣.

طريقي العقل والإجماع - حتى لو لم تصله الأحاديث النبوية من متون حديثة مشهورة عنده بسبب ظروف المنع المتقدمة -، وهو ما سنشير إليه الآن، فتابعوا معنا.

### الطريق الثاني: الدليل العقلي على تعيين اسمائهم.

إذا أردنا أن نسلك الدليل العقلي لمعرفة اسماء الأئمة الاثني عشر من أهل البيت عليهم السلام فيمكننا الاستعانة بالمذهب الذاتي في المعرفة، الذي يمكن من خلاله أن ننتهي إلى اليقين بإمامة وخلافة اثني عشر إماماً من أهل البيت عليهم السلام باسمائهم، حتى لو لم يجد الشخص نصاً نبوياً عليهم، فالدليل العقلي ليس قاصراً من هذه الناحية بل هو يرشدنا إلى أكثر من ذلك، فهو يرشدنا إلى إثبات وجود الله سبحانه وتعالى وإثبات صفاته بغض النظر عن الدليل النقلي، بل الاقتصار على الدليل النقلي في هذا الجانب يلزم الدور كما لا يخفى.. وخلاصة هذا المذهب يتكون من خمس خطوات:

الأولى: مواجهة جملة من الظواهر الحسية.

الثانية: إيجاد فرضية لتفسير هذه الظواهر.

الثالثة: ملاحظة أنه في حال كذب الفرضية وعدم ثبوتها في الواقع

فإن احتمال وجود هذه الظواهر كلها مجتمعة ضئيل جداً.

الرابعة: نستخلص صدق الفرضية ويكون الدليل على ذلك تواجد كل تلك الظواهر.

الخامسة: ملاحظة أنّ درجة إثبات كل الظواهر للفرضية المطروحة في الخطوة الثانية تتناسب عكسياً مع نسبة احتمال وجود تلك الظواهر جميعاً.

فكلما كانت النسبة أقل كانت درجة الاثبات أكبر حتى تبلغ درجة اليقين الكامل لصحة الفرضية وهذا يكون وفق نظرية تراكم الاحتمالات على محور واحد.

وتطبيق هذه الخطوات فيما يتعلق بإمامة أهل البيت عليهم السلام يكون كالتالي:

الخطوة الأولى: مواجهة دعوى إمامة اثني عشر إماماً من أهل البيت عليهم السلام، أو لهم علي بن أبي طالب عليه السلام وآخرهم الإمام المهدي عليه السلام، خاصة إمامة أحد عشر إماماً منهم، الذين هم محلّ وفاق على إمامتهم، فهذه ظاهر حسيّة، لأنّ هؤلاء الأئمة لهم وجودهم الخارجي الحقيقي الذي لا يمكن إنكاره من أحد، ومن هنا علينا دراسة واقع هذه الظاهرة الحسيّة الملموسة خارجاً.

الخطوة الثانية: ملاحظة خصوصيات هذه الظاهرة من حيث كونهم:

١- من صلب واحد (عشرة منهم من صلب علي عليه السلام وثمانية من صلب الحسين عليه السلام). وكما ذكر الجاحظ في رسائله: «ومن الذي يُعدّ من قريش ما يعدّه الطالبيون عشرة في نسق؛ كل واحد منهم عالم زاهد ناسك شجاع جواد طاهر زاكٍ، فمنهم خلفاء، ومنهم مُرّشّحون: ابن

ابن ابن ابن، هكذا إلى عشرة، وهم الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي عليه السلام، وهذا لم يتفق لبيت من بيوت العرب ولا من بيوت العجم»<sup>(١)</sup>. انتهى

٢- كلهم من أكابر أئمة المسلمين بشهادة علماء المسلمين جميعاً (وهذا واضح لمن راجع تراجمهم في كتب المسلمين وكما سيأتي بيانه عند التعرض لذكر كلمات علماء المسلمين في حقهم).

٣- لم يثبت أنهم تتلمذوا على غيرهم، وكل ما يدعى في ذلك هو إما ضعيف السند أو غير صحيح، بل علمهم عن آبائهم فقط.

٤- اجتمعت فيهم إضافة إلى فضيلة العلم فضائل التقوى والزهد والشجاعة وغيرها، كما أشار إليه الجاحظ في كلامه المتقدم.

٥- عدم وجود فاصل زمني بين إمام وإمام منهم، بل كلهم في نسق واحد إلى قرنين ونصف من الزمان.

هذه الخصوصيات لهذه الظاهرة الفريدة - ويوجد غيرها أيضاً - لا بد لها من تفسير، والتفسير لا يخلو إما بوجود يد غيبية اقتضت هذه الخصوصيات مجتمعة أو يكون اجتماعها في هؤلاء من باب الصدفة والاتفاق، مع ملاحظة أن هذا الأمر لم يتكرر في بيت من بيوتات العرب والعجم كما هو واضح.

الخطوة الثالثة: لو لاحظنا نسبة عامل الصدفة والاتفاق في اجتماع

(١) رسائل الجاحظ: ١٠٦.

هذه الخصوصيات لهؤلاء الأفراد من غير يد غيبية اقتضت ذلك لوجدناها نسبة ضئيلة جداً جداً، والدليل عليه هو ما ذكره علماء الرياضيات في مجيء عشرة أرقام فيما لو تمّ خلطها في الجيب واخراجها مرتبة من ١ - ١٠، كم نحتاج من المحاولات لنحظى بمحاولة واحدة تأتي فيها هذه الأرقام مرتبة بالشكل المطلوب؟!!

قالوا إننا نحتاج إلى عشرة بلايين محاولة حتى نحصل على محاولة واحدة تأتينا بهذه الأرقام مرتبة بالشكل المطلوب<sup>(١)</sup>.

هذا فيما يتعلّق بمجيء عشرة أرقام فقط مرتبة واحدة تلو الأخرى من دون خصوصيات تذكر لها سوى أنّها أرقام يأتي بعضها تلو بعض، فما بالك بمجيء أحد عشر شخصاً، واحداً تلو الآخر، بمثل الخصوصيات المتقدّمة، فكم نحتاج من المحاولات صدفة حتى نحظى بمثل النسق المذكور؟!!

لا شكّ أننا سنحتاج إلى عشرات بل مئات البلايين من المحاولات حتى يأتي هذا الأمر صدفة ولو لمرة واحدة فقط، ومثل هذا الرقم المهول لا يمكن للعقل البشري الاحتفاظ به وجعله عائقاً في دحض الاحتمال الآخر الذي يقف أمامه، وهو وجود يد غيبية خبيرة اقتضت هذا النسق وبالخصوصيات المذكورة، وإلا فالموضوع سينجر لدحض حتى وجود خالق للكون إذا رضينا هنا بمنطق الصدفة هذا.. فتأمل!!

(١) راجع كتاب «العلم يدعو للإيمان»، ص ٥٠، والمراد بعشرة بلايين أي عشرة مليارات من المحاولات، فالبليون يساوي مليار.

الخطوة الرابعة: بعد ضعف احتمال عامل الصدفة في إيجاد الظاهرة محلّ الكلام - وهي إمامة أحد عشر إماماً من أهل البيت عليهم السلام - بما تقدّم من الخطوة الثالثة يرتفع عندنا الاحتمال الآخر لتفسير الظاهرة ويقترّب من حالة الاطمئنان في الأخذ به.

الخطوة الخامسة: يمكننا رفق حالة الاطمئنان هذه والوصول بها إلى درجة اليقين والقطع كلّها جمعنا من الخصوصيات لهذه الظاهرة أكثر فأكثر بطريقة تراكم الاحتمالات، كوجود ذكر لأعدادهم في كتب العهد القديم<sup>(١)</sup>، أو وجود ذكر لعددهم وصفاتهم بشكل متواتر في كتب المسلمين وغير ذلك، ممّا يتضاعف معه صدق المدّعى ويتضاءل الطرف الآخر المخالف إلى درجة لا يمكن أن يعتدّ به أبداً، الأمر الذي يولّد قطعاً ويقيناً بأنّ تنصيب هؤلاء الأحد عشر وإمامتهم هو من الله وليست من البشر.

يبقى الكلام في إثبات إمامة الإمام الثاني عشر عليه السلام.

الجواب: بعد ثبوت إمامة أحد عشر إماماً بالدليل العقلي القطعي المتقدّم يكون ثبوت الثاني عشر هو لازم عقلائي قهري لذلك؛ لأنّ صدق الدعوى في نسبة كبيرة منها يلزمه - عقلائياً - ثبوت بقية الدعوى، لمحلّ الترابط بين الأكثر والأقل في المسألة.

(١) كما يذكر ذلك ابن تيمية وابن كثير بأنّه يوجد في التوراة أنّ الله تعالى بشرّ إبراهيم بإسماعيل، وأنّه ينميه ويكثره، وأنّه يجعل في ذريته اثنا عشر عظيماً. قال ابن تيمية: وهؤلاء المبشّر بهم في حديث جابر بن سمرة ولا تقوم الساعة حتّى يوجدوا. راجع: منهاج السنة لابن تيمية ٨: ٢٤١، والبداية والنهاية لابن كثير ٦: ٢٥٦.

وإلا فيمكننا الاستعانة بالخطوات الخمس المتقدّمة ذاتها في إثبات وجوده ﷺ وإثبات إمامته من خلال جمع القرائن الدالة على ولادته من أقوال علماء أهل السنّة والشيعّة معاً وعلماء الأنساب ووجود آلاف الأحاديث عند الفريقين عن إمامته وغيبته وطبيعة حكمه<sup>(١)</sup>، وجعلها ظاهرة حسّية تستدعي التفسير، ولك أن تطرح ما تشاء في تفسيرها وستجد من خلال تراكم الاحتمالات أنّه لا تفسير يصمد أمام التحقيق العلمي سوى إثبات ولادته وإمامته (صلوات الله وسلامه عليه)، وسيأتي التعرّض لإثبات ذلك عن طريق النقل فيما سنذكره لاحقاً من بيانات وكلمات علماء المسلمين بحق الإمام الثاني عشر ﷺ.

**الطريق الثالث: إجماع المسلمين على إمامة اثني عشر إمام من أئمة أهل البيت عليهم السلام.**

تقدّم أنّ المعنى الذي يراد من قول النبي ﷺ: (كلّهم تجتمع عليه الأئمة) - فيما رواه أبو داود وغيره - هو اجتماع الأئمة على صلاحهم وإلا فالمعنى الآخر من الاجتماع على بيعتهم أو حكمهم لم يتحقّق لأيّ حاكم حكم بعد رسول الله ﷺ، وكتب التاريخ زاخرة ببيان هذه الحقيقة، فيكون حمله على المعنى المتحقّق دون المعنى المتعذّر هو المتعيّن في المقام.

(١) أحصى بعض المحقّقين المعاصرين (آية الله العظمى الشيخ الصافي الكلبايكاني) أكثر من ثلاثة آلاف وسبعمئة رواية وردت بحق الإمام المهدي ﷺ في مختلف أحواله، من مختلف المصادر السنيّة والشيعيّة، راجع كتابه: منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر، ثلاثة مجلدات.

ولبيان حقيقة الإجماع هذه نتعرّض إلى ذكر كلمات علماء أهل السنّة في حقّ هؤلاء الأئمة الاثني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام - وإلّا فالشيعة الإمامية ثبت رجوعهم إليهم في الفقه والعقائد فيما تقدّم بيانه -، وسنشاهد بأنّ أعيننا هذا الإجماع على صلاحهم وإمامتهم الدينية بما لا خلاف فيه بين الفريقين:

ولنأخذ في بيان منزلة هذه الأسماء المباركة ومكانتها عند أهل السنّة والجماعة من الإمام السجاد إلى الإمام المهدي عليه السلام، واحداً واحداً، وإلّا فالأئمة الثلاثة الأوائل (عليّ والحسن والحسين عليهم السلام) أمرهم ومنزلتهم أوضح من أن تحتاج إلى مزيد بيان:



## الإمام الرابع: عليّ بن الحسين السجاد عليه السلام:

قال في حقّه الإمام محمّد بن إدريس الشافعي: ((هو أفقه أهل المدينة))<sup>(١)</sup>.

وجاء عن الذهبي قوله: ((... كان له جلاله عجيبة، وحقّ له والله ذلك، فقد كان أهلاً للإمامة العظمى لشرفه، وسؤدده وعلمه وتألّهه وكمال عقله))<sup>(٢)</sup>.

وقال أيضاً: ((وزين العابدين: كبير القدر، من سادة العلماء العاملين يصلح للإمامة))<sup>(٣)</sup>. انتهى

وعن ابن حجر العسقلاني: ((عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب الهاشمي زين العابدين، ثقة، ثبت، عابد، فقيه<sup>(٤)</sup>). انتهى

(١) رسائل الجاحظ: ١٠٦.

(٢) سير أعلام النبلاء ٤: ٣٩٨.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٣: ١٢٠.

(٤) تقريب التهذيب ١: ٦٩٢.

## الإمام الخامس: محمد بن عليّ الباقر عليه السلام:

قال عنه الذهبي في «العبر في خبر من غير»: ((وكان من فقهاء المدينة، وقيل له الباقر لأنّه بقر العلم أي شقّه وعرف أصله وخفيّه))<sup>(١)</sup>.

وقال في «سير أعلام النبلاء» في الجزء الثالث عشر: ((أبو جعفر الباقر، سيّد، إمام، فقيه يصلح للخلافة))<sup>(٢)</sup>.

وترجم له في الجزء الرابع قائلاً: ((وكان أحد من جمع بين العلم والعمل والسؤدد والشرف والثقة والرزانة وكان أهلاً للخلافة... وشهر أبو جعفر بالباقر، من: بقر العلم أي شقّه فعرف أصله وخفيّه، ولقد كان أبو جعفر إماماً مجتهداً تالياً لكتاب الله، كبير الشأن)) إلى أن قال: ((وقد عدّه النسائي وغيره في فقهاء التابعين بالمدينة، واتفق الحفاظ على الاحتجاج بأبي جعفر))<sup>(٣)</sup>. انتهى

وعن ابن كثير في «البداية والنهاية»: ((وهو محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبو جعفر الباقر، وأمّه أم عبد الله بنت الحسن بن عليّ، وهو تابعي جليل، كبير القدر كثيراً، أحد أعلام هذه الأمة علماً وعملاً وسيادة وشفراً... حدث عنه جماعة من كبار التابعين وغيرهم))<sup>(٤)</sup>. انتهى

(١) العبر في خبر من غير ١: ١٤٢.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٣: ١٢٠.

(٣) سير أعلام النبلاء ٤: ٤٠٢ - ٤٠٣.

(٤) البداية والنهاية ٩: ٣٣٨.

وعن النووي في «تهذيب الأسماء واللغات»: ((سمّي بذلك؛ لأنّه بقر العلم أي شقّه وعرف أصله وعرف خفيّه... وهو تابعي جليل، إمام بارع، مجمع على جلالته، معدود في فقهاء المدينة وأئمّتهم))<sup>(١)</sup>. انتهى

وعن اليافعي في «مرآة الجنان» عند ذكره حوادث سنة ١١٤ هـ: ((وفيها توفي أبو جعفر محمّد بن زين العابدين عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليهم، أحد الأئمة الاثني عشر في اعتقاد الإمامية، وهو والد جعفر الصادق، لقّب بالباقر لأنّه بقّر العلم أي شقّه وتوسّع فيه.. وفيه يقول الشاعر:

يا باقر العلم لأهل التقى وخير من ركب على الأجل، وقال  
عبد الله بن عطاء ما رأيت العلماء عند أحد أصغر علماً منهم عند  
محمّد بن عليّ...))<sup>(٢)</sup>. انتهى



(١) تهذيب الأسماء واللغات ١: ١٠٣.  
(٢) مرآة الجنان وعبرة اليقظان ١: ١٩٤.

## الإمام السادس: جعفر بن محمد الصادق عليه السلام:

قال الحافظ شمس الدين الجزري: ((وثبت عندنا أن كلاً من الإمام مالك، وأبي حنيفة (رحمهما الله تعالى) صحب الإمام أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام حتى قال أبو حنيفة: ما رأيت أفقه منه، وقد دخلني منه من الهيبة ما لم يدخلني للمنصور))<sup>(١)</sup>. انتهى

وقال الملا أبو عليّ القاري في «شرح الشفا»: ((جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب الهاشمي المدني المعروف بالصادق... متفق على إمامته وجلالته وسيادته))<sup>(٢)</sup>. انتهى

وقال ابن حجر العسقلاني في «تقريب التهذيب»: ((جعفر بن محمد... المعروف بالصادق، صدوق، فقيه، إمام))<sup>(٣)</sup>. انتهى

وقال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» في الجزء الثالث عشر، عند ذكره للإمام الصادق عليه السلام: ((جعفر الصادق: كبير الشأن، من أئمة العلم، كان أولى بالأمر من أبي جعفر المنصور))<sup>(٤)</sup>. انتهى



(١) أسنى المطالب في مناقب سيدنا عليّ بن أبي طالب: ٥٥.

(٢) شرح الشفا ١: ٤٣-٤٤.

(٣) تقريب التهذيب ١: ١٦٣.

(٤) سير أعلام النبلاء ١٣: ١٢٠.

## الإمام السابع: موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام:

قال في حقّه محمّد بن إدريس بن المنذر، أبو حاتم الرازي (ت ٢٧٧ هـ): ((ثقة صدوق إمام من أئمة المسلمين))<sup>(١)</sup>.

وقال محمّد بن طلحة الشافعي (ت: ٦٥٢ هـ) في كتابه «مطالب السؤل في مناقب آل الرسول»: ((هو الإمام الكبير القدر، العظيم الشأن، الكبير المجتهد الجاد في الاجتهاد، المشهور بالعبادة المواظب على الطاعات، المشهود له بالكرامات، يبيت الليل ساجداً وقائماً، ويقطع النهار متصدقاً وصائماً، ولفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين عليه دعي كاظماً، كان يُجازي المسيء بإحسانه إليه، ويقابل الجاني بعفوه عنه، ولكثرة عبادته كان يُسمّى بالعبد الصالح، ويعرف بالعراق باب الحوائج إلى الله لنجح مطالب المتوسلين إلى الله تعالى به، كرامته تحار منها العقول، وتقضي بأن له عند الله تعالى قدم صدق لا تنزل ولا تزول))<sup>(٢)</sup>. انتهى

وعن الذهبي في «سير أعلام النبلاء»: ((الإمام، القدوة، السيد أبو الحسن العلوي، والد الإمام عليّ بن موسى الرضا، مدني، نزل بغداد))<sup>(٣)</sup>.

(١) ذكر قوله هذا ابنه ابن أبي حاتم الرازي في: الجرح والتعديل ٨: ١٣٨، والذهبي في: سير

أعلام النبلاء ٦: ٢٨٠، وابن حجر في: تهذيب التهذيب ٨: ٣٩٣.

(٢) مطالب السؤل في مناقب آل الرسول ٢: ١٢٠.

(٣) سير أعلام النبلاء ٦: ٢٧٠.

وقال عنه في الجزء الثالث عشر: ((كبير القدر، جيد العلم، أولى بالخلافة من هارون))<sup>(١)</sup>. انتهى

وعن ابن حجر الهيتمي في «الصواعق»: ((موسى الكاظم: وهو وارثه [أي وارث جعفر الصادق] علماً ومعرفةً وكمالاً وفضلاً، سُمِّي الكاظم لكثرة تجاوزه وحلمه، وكان معروفاً عند أهل العراق بباب قضاء الحوائج عند الله، وكان أعبد أهل زمانه وأعلمهم وأسخاهم))<sup>(٢)</sup>. انتهى

(١) سير أعلام النبلاء ١٣: ١٢٠.

(٢) الصواعق المحرقة: ٣٠٧.

## الإمام الثامن: عليّ بن موسى الرضا عليه السلام:

قال عنه الذهبي في «سير أعلام النبلاء»: ((عليّ الرضا الإمام السيد، أبو الحسن، عليّ الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمّد الباقر بن عليّ بن الحسين، الهاشمي العلوي المدني... وكان من العلم والدين والسؤدد بمكان، يقال: أفتى وهو شاب في أيام مالك... وقد كان عليّ الرضا كبير الشأن أهلاً للخلافة))<sup>(١)</sup>. انتهى

وقال في «تاريخ الإسلام»: ((كان سيد بني هاشم في زمانه وأجلهم وأنبأهم... مات في صفر سنة ثلاث ومائتين عن خمسين سنة بطوس ومشهده مقصود بالزيارة رحمه الله))<sup>(٢)</sup>. انتهى

وعن عبد الكريم بن محمّد الرافعي القزويني (ت: ٦٢٣ هـ) في كتابه «التدوين»: ((عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب أبو الحسن الرضا، من أئمة أهل البيت وأعاضم ساداتهم. وأكابرهم...))<sup>(٣)</sup>. انتهى

وجاء عن ابن حبان (ت: ٣٥٤ هـ) في كتابه «الثقات»: ((وهو عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، أبو الحسن، من سادات أهل البيت وعقلائهم وجلة الهاشميين ونبلائهم... ومات عليّ بن موسى الرضا بطوس من شربة سقاه إياها

(١) سير أعلام النبلاء ٩: ٣٨٧-٣٨٨ و٣٩٢.

(٢) تاريخ الإسلام، حوادث وفيات (٢٠١ ٢١٠)، ص ٢٦٩-٢٧٢.

(٣) التدوين في أخبار قزوين ٣: ٢٦٩.

المأمون فمات من ساعته... وقبره بسناباد خارج النوقان مشهور يُزار بجانب قبر الرشيد قد زرتة مراراً كثيرة، وما حلت بي شدة في وقت مقامي بطوس فزرتُ قبر عليّ بن موسى الرضا صلوات الله على جدّه وعليه ودعوت الله إزالتها عني إلا استجيب لي وزالت عني تلك الشدة وهذا شيء جرّبه مراراً فوجدته كذلك، أماتنا الله على محبة المصطفى وأهل بيته صلى الله عليه وعليهم أجمعين))<sup>(١)</sup>. انتهى

## الإمام التاسع: محمد بن عليّ الجواد عليه السلام:

قال عنه ابن تيمية في كتابه «منهاج السنّة»: ((محمد بن عليّ الجواد كان من أعيان بني هاشم وهو معروف بالسخاء والسؤدد ولهذا سمّي الجواد))<sup>(١)</sup>. انتهى

وعن يوسف بن إسماعيل النبهاني (ت: ١٣٥٠ هـ) قال في كتابه «جامع كرامات الأولياء»: ((محمد الجواد بن عليّ الرضا أحد أكابر الأئمة ومصايح الأمة، من ساداتنا أهل البيت. توفي محمد الجواد رضي الله عنه في آخر ذي القعدة سنّة ٢٢٠ وله من العمر خمس وعشرون سنّة وشهر رضي الله عنه وعن آبائه الطيبين الطاهرين وأعقابهم أجمعين ونفعنا ببركتهم آمين))<sup>(٢)</sup>. انتهى

وعن سبط ابن الجوزي (ت: ٦٥٤ هـ) في «تذكرة الخواص»: ((وكان عليّ منهاج أبيه في العلم والتقوى والزهد والجود))<sup>(٣)</sup>. انتهى

وعن ابن الصبّاغ المالكي (ت: ٨٥٥ هـ) في «الفصول المهمّة»: ((قال صاحب كتاب مطالب السؤول في مناقب آل الرسول، هو أبو جعفر الثاني... وإن كان صغير السن فهو كبير القدر رفيع الذكر القائم بالإمامة بعد عليّ بن موسى الرضا))<sup>(٤)</sup>. انتهى

(١) منهاج السنّة ٤: ٦٨.

(٢) جامع كرامات الأولياء ١: ١٦٨-١٦٩.

(٣) تذكرة الخواص: ٣٢١.

(٤) الفصول المهمّة في معرفة أحوال الأئمة: ٢٥٣.

## الإمام العاشر: عليّ بن محمّد الهادي عليه السلام:

قال في حقّه شمس الدين الذهبي في كتابه «العبر»: (( وفيها أيّ سنة ٢٥٤ هجرية توفيّ أبو الحسن عليّ بن الجواد محمّد ابن الرضا عليّ بن الكاظم موسى... العلوي الحسيني المعروف بالهادي، توفيّ بسامراء وله أربعون سنة، وكان فقيهاً إماماً متعبداً ))<sup>(١)</sup>. انتهى

وبمثله صرّح الياضي (ت: ٧٦٨ هـ) في «مرآة الجنان» حيث قال: (( فيها [سنة ٢٥٤] توفيّ العسكري أبو الحسن الهادي بن محمّد الجواد بن عليّ الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق العلوي الحسيني، عاش أربعين سنة وكان متعبداً فقيهاً إماماً... وكان قد سعي به إلى المتوكل... ))<sup>(٢)</sup>. انتهى

وجاء عن ابن العماد الحنبلي (ت: ١٠٨٩ هـ) في «شذرات الذهب» وهو يتكلّم عن وفيات سنة (٢٥٤ هـ): (( وفيها توفيّ أبو الحسن عليّ بن الجواد محمّد بن الرضا عليّ بن الكاظم موسى بن جعفر الصادق العلوي الحسيني المعروف بالهادي، كان فقيهاً إماماً متعبداً... ))<sup>(٣)</sup>. انتهى

وعن ابن الصباغ المالكي في «الفصول المهمّة»: (( قال بعض أهل العلم: فضل أبي الحسن عليّ بن محمّد الهادي قد ضرب على الحرّة بابه، ومدّ على نجوم السماء أطنابه فما تعدّ منقبة إلا وإليه نحلّتها، ولا تذكر

(١) العبر في أخبار من غبر: ١: ٢٢٨.

(٢) مرآة الجنان وعبرة اليقظان ٢: ١١٩.

(٣) شذرات الذهب ٢: ٢٧٢.

كريمة إلا وله فضيلتها، ولا تورّد محمّدة إلا وله تفضلها وجملتها...  
فكانت نفسه مهذّبة وأخلاقه مستعذبة وسيرته عادلة وخلاله  
فاضلة))<sup>(١)</sup>. انتهى



## الإمام الحادي عشر: الحسن بن عليّ العسكري عليه السلام:

قال ابن الصباغ المالكي في حقه: ((مناقب سيّدنا أبي محمّد العسكري دالة على أنّه السري ابن السري، فلا يشكّ في إمامته أحد ولا يمترى... واحد زمانه من غير مدافع، ويسبح وحده من غير منازع، وسيد أهل عصره، وإمام أهل دهره، أقواله سديدة وأفعاله حميدة... كاشف الحقائق بنظره الصائب، ومظهر الدقائق بفكره الثاقب، المحدث في سرّه بالأمور الخفيات، الكريم الأصل والنفس والذات، تغمّده الله برحمته وأسكنه فسيح جنانه بمحمّد (صلّى الله عليه وسلم) أمين))<sup>(١)</sup>. انتهى

وعن سبط ابن الجوزي الحنبلي (ت: ٦٥٤ هـ) في «تذكرة الخواص»: ((هو الحسن بن عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى الرضا بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب... وكان عالماً ثقة))<sup>(٢)</sup>. انتهى

وعن السمهودي الشافعي (ت: ٩١١ هـ) في «جواهر العقدين»، قال: ((وأما ولده أبو محمّد الحسن الخالص، فكان عظيم الشأن... وقد سبقت له كرامة جليّة لما حبسه المعتمد على الله ابن المتوكل العباسي))<sup>(٣)</sup>. انتهى

(١) الفصول المهمة: ٢٧٩.

(٢) تذكرة الخواص: ٣٢٤.

(٣) جواهر العقدين في فضل الشرفين: ٤٤٨.

وجاء عن يوسف النبهاني (ت: ١٣٥٠ هـ) في كتابه «جامع كرامات الأولياء»: ((الحسن العسكري أحد أئمة ساداتنا أهل البيت العظام، وساداتهم الكرام، رضي الله عنهم أجمعين، ذكره الشبراوي في الإتحاف بحب الأشراف، ولكنه اختصر ترجمته ولم يذكر له كرامات، وقد رأيت له كرامة بنفسي...))<sup>(١)</sup>. انتهى



(١) جامع كرامات الأولياء ٢: ٢١-٢٢.



أفضل الخلق فلا ريب أن أعمالهم أفضل الأعمال. وكان أفضلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا عدل له من البشر ففاضلهم أفضل من كل فاضل من سائر قبائل قريش والعرب بل ومن بني إسرائيل وغيرهم))<sup>(١)</sup>. انتهى

وهذا المعنى من التفضيل قد ثبته ابن تيمية كعقيدة لأهل السنة والجماعة في كتابه «اقتضاء الصراط المستقيم»<sup>(٢)</sup>.

وبهذا التفضيل والفضيلة صدح أيضا بكلمة جامعة في حق الأئمة الأطهار عليهم السلام الدهلوي في «مختصر التحفة الاثني عشرية»، حين قال: ((وقد علم أيضا من التواريخ وغيرها أن أهل البيت ولاسيما الأئمة الأطهار من خيار خلق الله تعالى بعد النبيين، وأفضل سائر عباده المخلصين والمقتفين لآثار جدّهم سيّد المرسلين))<sup>(٣)</sup>. انتهى

وعليه؛ فأئمة أهل البيت عليهم السلام هم صفوة الصفوة من البشر؛ إذ كانوا هم أفضل بني هاشم في زمانهم بشهادة علماء أهل السنة المتقدم ذكرهم، وبنو هاشم هم أفضل البشر بنصّ الحديث الشريف وعقيدة أهل السنة والجماعة كما صرح به ابن تيمية، فيكون هؤلاء الأئمة إذن هم صفوة الصفوة من البشر.. فالحمد لله الذي أكرمنا بالولاء لهؤلاء الأئمة الأطهار والسير على خطاهم.. وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

(١) مجموع الفتاوى ٢٧: ٤٧١.

(٢) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم ١: ٤١٩.

(٣) مختصر التحفة الاثني عشرية: ٥.

## الإمام الثاني عشر (المهدي عليه السلام):

بقي الكلام حول الإمام الثاني عشر، المهدي عليه السلام، من حيث ولادته، والاعتراف بفضله، وبقاءه حيًّا إلى يومنا هذا:

بعد أن عرفنا اتفاق المسلمين جميعاً على إمامة وجمالية أحد عشر إماماً من أئمة أهل البيت عليهم السلام، الذين هم مصداق العترة التي لا تفارق القرآن ولا يفارقها إلى يوم القيامة، بمقتضى حديث الثقلين، بقي الكلام حول الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام، المهدي المنتظر، من حيث إثبات ولادته، والاعتراف بفضله، وبقاءه حيًّا إلى يومنا هذا.

أمّا الولادة، فسنقتصر لإثباتها على طريقين فقط، وإلا فالطرق لإثبات ذلك متعدّدة ومتضافرة:

الأوّل: شهادة علماء الأنساب بهذه الولادة.

الثاني: اعتراف علماء أهل السنّة أنفسهم بالولادة.

أمّا الطريق الأوّل، فقد شهد علماء الأنساب والمتخصصون في هذا الجانب بولادة الإمام المهدي عليه السلام، وأنّه ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ونذكر منهم بحسب التسلسل الزمني:

١- النسابة الشهير أبو نصر سهل بن عبد الله بن داود بن سليمان البخاري، من أعلام القرن الرابع الهجري، والذي كان حيًّا سنة (٣٤١

هـ)، وهو من أشهر علماء الانساب المعاصرين لغيبة الإمام المهدي الصغرى التي انتهت سنة ٣٢٩ هـ.

قال في «سرّ السلسلة العلوية»: ((وولد عليّ بن محمّد التقي عليه السلام: الحسن ابن عليّ العسكري عليه السلام من أم ولد نوبيّة تدعى: ریحانة، وولد سنة احدى وثلاثين ومائتين وقبض سنة ستين ومائتين بسامراء، وهو ابن تسع وعشرين سنة.. وولد عليّ بن محمّد التقي عليه السلام جعفرأ وهو الذي تسميه الإمامية جعفر الكذاب، وإنما تسميه الإمامية بذلك؛ لادعائه ميراث أخيه الحسن عليه السلام دون ابنه القائم الحجّة عليه السلام. لا طعن في نسبه))<sup>(١)</sup> انتهى

٢- النسابة العمري المشهور من أعلام القرن الخامس الهجري والذي قال ما نصّه: ((ومات أبو محمّد عليه السلام وولده من نرجس عليها السلام معلوم عند خاصّة أصحابه وثقات أهله، وسنذكر حال ولادته والأخبار التي سمعناها بذلك، وامتنحن المؤمنون بل كافة الناس بغيبته، وشره جعفر بن عليّ إلى مال أخيه وحاله فدفع أن يكون له ولد، وأعانه بعض الفراعنة على قبض جوارى أخيه))<sup>(٢)</sup>. انتهى

٣- الفخر الرازي الشافعي (ت: ٦٠٦ هـ)، قال في كتابه «الشجرة المباركة في أنساب الطالبية» تحت عنوان: أولاد الامام العسكري عليه السلام ما هذا نصّه: ((أمّا الحسن العسكري الامام عليه السلام فله ابنان وبتان: اما الابنان، فأحدهما: صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف، والثاني

(١) سرّ السلسلة العلوية - لآبي نصر البخاري - : ٣٩.

(٢) المجدي في انساب الطالبين: ١٣٠.

موسى درج في حياة أبيه. وأمّا البنتان: ففاطمة درجت في حياة أبيها، وأم موسى درجت أيضاً<sup>(١)</sup>. انتهى

٤- النسابة جمال الدين أحمد بن عليّ الحسيني المعروف بابن عنبة (ت: ٨٢٨ هـ) قال في «عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب»: ((أمّا عليّ الهادي فيلقب العسكري لمقامه بسُرّ من رأى، وكانت تسمى العسكر، وأمّه أم ولد، وكان في غاية الفضل ونهاية النبل، أشخصه المتوكل إلى سُرّ من رأى فأقام بها إلى أن تُوفي، وأعقب من رجلين هما:

الإمام أبو محمّد الحسن العسكري عليه السلام، وكان من الزهد والعلم على أمر عظيم، وهو والد الإمام محمّد المهدي صلوات الله عليه ثاني عشر الأئمة عند الإمامية وهو القائم المنتظر عندهم من أم ولد اسمها نرجس، واسم أخيه أبو عبدالله جعفر الملقب بالكذاب؛ لادعائه الإمامة بعد أخيه الحسن<sup>(٢)</sup>). انتهى

٥- النسابة الزيدي أبو الحسن محمّد الحسيني اليماني الصنعاني، من أعيان القرن الحادي عشر.. ذكر في المشجرة التي رسمها لبيان نسب أولاد أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وتحت اسم الإمام عليّ التقي المعروف بالهادي عليه السلام خمسة من البنين وهم: الإمام العسكري، الحسين، موسى، محمّد، عليّ. وتحت اسم الإمام العسكري عليه السلام مباشرة كتب: (محمّد بن) وبازائه: (منتظر الإمامية)<sup>(٣)</sup>. انتهى

(١) الشجرة المباركة في أنساب الطالبيه للفخر الرازي: ٧٨-٧٩.

(٢) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: ١٩٩.

(٣) روضة الألباب لمعرفة الأنساب، للنسابة الزيدي أبي الحسن محمّد الحسيني الصنعاني: ١٠٥.

٦- محمّد أمين السويدي (ت: ١٢٤٦ هـ) قال في «سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب»: ((محمّد المهدي: وكان عمره عند وفاة أبيه خمس سنين، وكان مربع القامة، حسن الوجه والشّعر، ألقى الانف، صبيح الجبهة))<sup>(١)</sup>. انتهى

فهذه أقوال جملة من علماء الأنساب المشهورين على مرّ القرون يثبتون الولادة الميمونة للإمام المهدي عليه السلام وأنّه ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام.



(١) سبائك الذهب للسويدي: ٣٤٦.

## اعتراف علماء أهل السنة بولادة الإمام المهدي عليه السلام

أمّا اعتراف علماء أهل السنة بهذه الولادة فحدّث ولا حرج، فقد أحصى السيد ثامر العميدي في كتابه «دفاع عن الكافي» ١٢٨ عالماً من علماء أهل السنة من فقهاء ومحدّثين ومفسّرين وغيرهم، وعلى مرّ القرون، ممّن اعترف بهذه الولادة المباركة<sup>(١)</sup>. انتهى

ونذكر هنا جملة منهم مع الإشارة إلى المصدر والصفحة فقط، وحسب التسلسل الزمني:

١- ابن الأثير الجزري (ت: ٦٣٠ هـ) في كتابه (الكامل في التاريخ ٢٧٤:٧، آخر حوادث سنة ٢٦٠ هـ).

٢- ابن الخشاب البغدادي المؤرّخ (ت: ٦٤٣ هـ) في (تاريخ مواليد الأئمّة: ٦).

٣- محمّد بن طلحة الشافعي (ت: ٦٥٢ هـ) في (مطالب السّؤول في مناقب آل الرسول: ٨٨).

٤- محمّد بن يوسف الكنجي الشافعي (ت: ٦٥٨ هـ) في (البيان في أخبار صاحب الزمان: ٣٣٦).

٥- ابن خلّكان (ت: ٦٨١ هـ) في (وفيات الأعيان ٤: ١٧٦، الرقم ٥٦٢٥).

(١) انظر دفاع عن الكافي ١: ٥٦٨-٥٩٢، تحت عنوان: الدليل السادس: اعترافات أهل السنة.

٦- شمس الدين الذهبي (ت: ٧٤٨ هـ) في كتبه: العبر، و تاريخ دول الإسلام، و سير أعلام النبلاء (العبر ٣: ٣١). تاريخ دول الإسلام ١١٣ حوادث سنوات (٢٥١ ٢٦٠ هـ). سير أعلام النبلاء ١٣: ١١٩، الرقم (٦٠).

٧- ابن الوردي (ت: ٧٤٩ هـ) في ذيل تتمّة المختصر، المعروف بـ تاريخ ابن الوردي، نقل ذلك عنه الشبلنجي في نور الأبصار ١٦٨.

٨- ابن الصبّاغ المالكي (ت: ٨٥٥ هـ) في (الفصول المهمة: ٢٧٣).

٩- عبدالوّهّاب الشعراني (ت: ٩٧٣ هـ) في اليواقيت والجواهر (اليواقيت والجواهر ٣: ١٤٥).

١٠- ابن حجر الهيتمي الشافعي (ت: ٩٧٤ هـ) في (الصواعق المحرقة: ٢٠٧).

١١- الشبراوي الشافعي (ت: ١١٧١ هـ) في (الإتحاف بحبّ الأشراف: ٦٨).

١٢- القندوزي الحنفي (ت: ١٢٩٣ هـ) في (ينابيع المودّة ينابيع المودّة ٣: ١، ٣٠٦، الباب ٧٩).

١٣- مؤمن بن حسن الشبلنجي (ت: ١٣٠٨ هـ) في (نور الأبصار: ١٨٦).

١٤- خير الدين الزركلي (ت: ١٣٩٦ هـ) في كتابه (الأعلام ٦: ٨٠).

وراجع بقية الأسماء (وهي بالعشرات) في المصدر المتقدّم.

## شبهة وجوابها:

نعم، بعض هؤلاء القائلين بولادة الإمام محمد بن الحسن العسكري من أهل السنة - كالشبراوي الشافعي في كتابه المتقدم - أنكروا أن يكون هو المهدي المنتظر، وقالوا إن المهدي الموعود في الروايات هو الذي سيولد في آخر الزمان..

وللردّ على هؤلاء نقول:

إن إنكاركم لكون الإمام محمد بن الحسن العسكري هو المهدي المنتظر الذي سيخرج في آخر الزمان يلزم منه بطلان حديث الثقلين؛ لأن النبي ﷺ قد صرح في هذا الحديث ببقاء القرآن مع العترة متلازمين إلى يوم القيامة، حيث قال: «وأنتما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض»، وهو المعنى الذي نصّ على بيانه علماء أهل السنة أنفسهم..

قال المناوي الشافعي في «فيض القدير» عند تعرّضه لحديث الثقلين: ((تنبّه: قال الشريف - يقصد الحافظ السهمودي - : هذا الخبر يفهم وجود من يكون أهلاً للتمسك به من أهل البيت والعترة الطاهرة في كل زمن إلى قيام الساعة حتى يتوجه الحث المذكور إلى التمسك به كما أن الكتاب كذلك فلذلك كانوا أماناً لأهل الأرض فإذا ذهب أهل الأرض))<sup>(١)</sup>. انتهى

وعن ابن حجر في «الصواعق المحرقة» قال: ((وفي أحاديث

(١) فيض القدير ٣: ١٥.

التمسك بأهل البيت إشارة إلى عدم انقطاع مستأهل فيهم للتمسك به إلى يوم القيامة، كما أن الكتاب العزيز كذلك، ولهذا كانوا أماناً لأهل الأرض كما سيأتي، ويشهد لذلك الخبر السابق: (في كل خلف من أمي عدول من أهل بيتي))<sup>(١)</sup>. انتهى

وعليه، فالقول بإنعدام الإمام محمد بن الحسن العسكري ووفاته معناه حصول الافتراق بين القرآن والعترة، وهذا يفضي إلى بطلان حديث الثقلين الثابت عند الفريقين بفقرته الصحيحة السند: (وأنتما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض)<sup>(٢)</sup>.

وهو مردود جزماً، خاصة بعد نصّ النبي ﷺ على أن المهدي هو من عترته خاصة<sup>(٣)</sup>. ولم يتفق المسلمون على إمامة وجمالة أحد من العترة لا يفارقون القرآن ولا يفارقهم سوى هؤلاء الاثني عشر، فدعوى أن المهدي المنتظر سيولد بعد ذلك، مع نصّ النبي ﷺ أنه من العترة وأن العترة لا تفارق القرآن ولا يفارقها القرآن إلى يوم القيامة، لا محصل له.

وأقول: بل وجدنا من علماء أهل السنة والجماعة من ينصّ على أن الامام محمد بن الحسن العسكري هو المهدي المنتظر نفسه، ونذكر من هؤلاء:

١- محي الدين بن عربي، على ما نقله عنه الشعراني الشافعي في

(١) الصواعق المحرقة ٢: ٤٤٢.

(٢) صحيح الجامع الصغير للألباني ١: ٤٨٢، مسند أحمد بن حنبل، برقم: ٢١٦٥٤، صحيح شعيب الأرنؤوط

(٣) انظر: صحيح الجامع الصغير ٢: ١١٤٠.

«اليواقيت والجواهر»، حيث قال: ((وعبارة الشيخ محيي الدين في الباب السادس والستين وثلاثمائة من الفتوحات: واعلموا أنه لا بد من خروج المهدي عليه السلام، ولكن لا يخرج حتى تمتلئ الأرض جوراً وظلماً فيملؤها قسطاً وعدلاً، ولو لم يكن من الدنيا إلا يوم واحد طول الله تعالى ذلك اليوم حتى يلي ذلك الخليفة، وهو من عترة رسول الله صلى الله عليه وآله، من ولد فاطمة عليها السلام، وجدّه الحسين بن عليّ بن أبي طالب، ووالده حسن العسكري ابن الإمام عليّ النقي...))<sup>(١)</sup>. انتهى

٢- محمد بن طلحة الشافعي - الذي يصفه الذهبي في «سير أعلام النبلاء» بالعلامة الأوحد<sup>(٢)</sup> - قال في كتابه «مطالب السؤل»: ((أبي القاسم محمد بن الحسن الخالص بن عليّ المتوكل بن القانع بن عليّ الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن عليّ زين العابدين بن الحسين الزكي بن عليّ المرتضى أمير المؤمنين بن أبي طالب، المهدي، الحجّة، الخلف الصالح، المنتظر عليه السلام ورحمة الله وبركاته))<sup>(٣)</sup>. انتهى

٣- سبط ابن الجوزي الحنبلي قال في «تذكرة الخواص» عن الإمام المهدي: ((هو محمد بن الحسن بن عليّ بن محمد بن عليّ بن موسى الرضا بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وكنيته أبو عبدالله، وأبو القاسم، وهو الخلف الحجّة، صاحب

(١) اليواقيت والجواهر ٢: ١٤٣.

(٢) سير أعلام النبلاء ٢٣: ٢٣٩.

(٣) مطالب السؤل: ٤٨٠.

الزمان، القائم، المنتظر، والتالي، وهو آخر الأئمة))<sup>(١)</sup>. انتهى

٤- شمس الدين محمد بن طولون الحنفي مؤرخ دمشق (ت: ٩٥٣ هـ) قال في كتابه «الأئمة الاثنا عشر» عن الإمام المهدي عليه السلام: ((كانت ولادته رضي الله عنه يوم الجمعة، منتصف شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين، ولما توفي أبوه المتقدم ذكره (رضي الله عنهما) كان عمره خمس سنين...))

(ثم ذكر الأئمة الاثني عشر عليهم السلام في قصيدة له وقال في آخرها:)

عسكريُّ الحسنُ المطهرُ \* محمد المهديُّ سوف  
يظهرُ))<sup>(٢)</sup>. انتهى

٥- نور الدين عليّ بن محمد بن الصباغ، الفقيه المالكي (انظر ترجمته في الأعلام للزركلي)، قال في أوّل الفصل الثاني عشر من كتابه «الفصول المهمة»: ((في ذكر أبي القاسم الحجة، الخلف الصالح، ابن أبي محمد الحسن الخالص، وهو الإمام الثاني عشر، وتاريخ ولادته، ودلائل إمامته، وطرفاً من أخباره، وغيبته، ومدة قيام دولته الكريمة، وذكر كنيته، ونسبه، وغير ذلك مما يتصل به رضي الله عنه وأرضاه))<sup>(٣)</sup>. انتهى

٦- أحمد بن يوسف بن سنان القرماني الدمشقي (ت: ١٠١٩ هـ) قال في كتابه «أخبار الدول وآثار الأوّل» في الفصل الحادي عشر: في

(١) تذكرة الخواص: ٣٦٣.

(٢) الأئمة الاثنا عشر، ابن طولون الحنفي: ١١٧، ١١٨.

(٣) الفصول المهمة في معرفة الأئمة ٢: ١٠٩٦.

ذكر أبي القاسم محمد الحجة الخلف الصالح:

((وكان عمره عند وفاة أبيه خمس سنين، أتاه الله فيها الحكمة كما أوتيتها يحيى عليه السلام صبياً. وكان مربع القامة، حسن الوجه والشعر، ألقى الأنف، أجلى الجبهة... واتفق العلماء على أن المهدي هو القائم في آخر الوقت، وقد تعاضدت الأخبار على ظهوره، وتظاهرت الروايات على اشراق نوره، وستسفر ظلمة الأيام والليالي بسفوره، وينجلي برويته الظلم انجلاء الصبح عن ديجوره، ويسير عدله في الآفاق فيكون أضوء من البدر المنير في مسيره))<sup>(١)</sup>. انتهى

ومن هؤلاء الأعلام، المتقدم ذكرهم، ممن صرح بغيبته عليه السلام وبقائه حياً إلى أن يأذن الله بظهوره المبارك... قال العلامة الأوحى محمد بن طلحة الشافعي في كتابه «مطالب السؤول في مناقب آل الرسول»: ((وأما عمره: فإنه ولد في أيام المعتمد على الله، خاف فاختفى وإلى الآن، فلم يمكن ذكر ذلك إذ من غاب وإن انقطع خبره لا توجب غيبته وانقطاع خبره الحكم بمقدار عمره ولا بانقضاء حياته، وقدرة الله واسعة وحكمه وألطفه بعباده عظيمة عامة، ولو ازم عظماء العلماء أن يدركوا حقائق مقدوراته وكنه قدرته لم يجدوا إلى ذلك سبيلاً، ولا نقل طرف تطلعهم إليه حسيراً وحده كليلاً، وأملى عليهم لسان عجزهم عن الإحاطة به وما أوتيتهم من العلم إلا قليلاً.

وليس ببدع ولا مستغرب تعمير بعض عباد الله المخلصين، ولا امتداد عمره إلى حين، فقد مد الله تعالى أعمار جمع كثير من خلقه من

(١) أخبار الدول وآثار الأول: ٣٥٣-٣٥٤، الفصل ١١.

أصفيائه وأوليائه ومن مطروديه وأعدائه، فمن الأصفياء: عيسى عليه السلام، ومنهم الخضر، وخلق آخرون من الأنبياء طالت أعمارهم، حتى جاز كل واحد منهم ألف سنة أو قاربها كنوح عليه السلام وغيره.

وأما من الأعداء المطرودين: فإبليس، وكذلك الدجال، ومن غيرهم كعاد الأولى، كان فيهم من عمره ما يقارب الألف، وكذلك لقمان صاحب لبد وكلّ هذه لبيان اتساع القدرة الربانية في تعمير بعض خلقه، فأبي مانع يمنع من امتداد عمر الصالح الخلف الناصح إلى أن يظهر فيعمل ما حكم الله له به؟<sup>(١)</sup>. انتهى

وهذا المعنى من البيان الذي صدع به العلامة محمد بن طلحة الشافعي هنا هو الموافق عملياً لما صرح به علماء الأنساب في حقّ الامام محمد بن الحسن العسكري عليه السلام... فهاهو النسابة العمري المشهور من أعلام القرن الخامس الهجري يصرّح في كتابه «المجدي في أنساب الطالبين» ويقول ما نصّه: ((ومات أبو محمد عليه السلام وولده من نرجس عليها السلام معلوم عند خاصّة أصحابه وثقات أهله، وسنذكر حال ولادته والأخبار التي سمعناها بذلك، وامتحن المؤمنون بل كافة الناس بغيبته، وشره جعفر بن عليّ إلى مال أخيه وحاله فدفع أن يكون له ولد، وأعانه بعض الفراعنة على قبض جوارى أخيه))<sup>(٢)</sup>. انتهى

وهاهو الفخر الرازي الذي نجده بعد أن يثبت وجود أبناء وبنات للإمام الحسن العسكري ينصّ على وفاتهم في حياة أبيهم واحداً واحداً يترك

(١) مطالب السؤل: ٤٨٩.

(٢) المجدي في انساب الطالبين: ١٣٠.

التعرض لذكر وفاة الامام محمد بن الحسن بالمرّة ولا يشير إلى شيء من ذلك البتة، قال في كتابه "الشجرة المباركة في أنساب الطالبية" تحت عنوان: أولاد الإمام العسكري عليه السلام ما نصّه: ((أما الحسن العسكري الامام عليه السلام فله ابنان وبنتان: اما الابنان، فأحدهما: صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف، والثاني موسى درج في حياة أبيه. وأما البنتان: ففاطمة درجت في حياة أبيها، وأم موسى درجت أيضاً))<sup>(١)</sup>. انتهى

وهاهو نسابة المدينة الشريف أنس بن يعقوب الكتبي يقول في كتابه «الأصول في ذرية البضعة البتول»: ((ومن الثابت عند أهل العلم من متقدّمين ومتأخرين انقطاع خبره، وعدم معرفة قبره ولا مكانه... (إلى أن يقول) ومن التحاليل السابقة والتي استقصيناها من الكتب المعتمدة التي تؤكد لنا صحّة اختفاء الامام المهدي في سنّ مبكر وعدم ظهوره، فلم يكن له عقب بالإجماع، وهذا ما أثبتته كتب الأنساب والمشجرات المتقدّمة المعتمدة، بأن ليس له عقب بإجماع كبار النسابين، وبذلك لم يعرف مكانه ولا ذراريه))<sup>(٢)</sup>. انتهى

بل يمكن القول هنا بأنّ نفس حديث (الخلفاء من بعدي اثنا عشر) يمكننا استفادة غيبة الإمام الثاني عشر منه؛ لأن مقتضى التواجد الطبيعي لاثني عشر إماماً في عمر الزمان لا يتعدى الأربعة قرون - حسب قول ابن خلدون وغيره بأنّ القرن يتضمن ثلاثة أظهر من أجيال الناس -، ومع النصّ بأنّ هؤلاء الخلفاء الاثنا عشر تستمر خلافتهم

(١) الشجرة المباركة في أنساب الطالبية - الفخر الرازي - : ٧٨-٧٩.

(٢) الأصول في ذرية البضعة البتول: ٩٩

إلى قيام الساعة الأمر الذي يقتضي أن يكون هناك أمر إعجازي يقتضي هذا الاستمرار وإلا فلا يمكن تفسير هذا الحديث بحسب الموازين الطبيعية، وليس من أمر إعجازي مطروح أمامنا سوى غيبة الإمام الثاني عشر عليه السلام.. فلاحظ ذلك. قد يسأل البعض ويقول: ما هي الحكمة أو الفائدة من إمامة إمام وغيبته وعدم ظهوره العلني بين الناس!!؟؟ هذا ما سنجيب عليه بإذن الله.



## الحكمة من غيبة الامام الثاني عشر، المهدي المنتظر عليه السلام

أقول: من الأمور التي يشنع بها البعض على الشيعة الإمامية، أتباع الثقلين (الكتاب والعترة)، أنه كيف تؤمنون بإمام غاب عن الأنظار وتقولون إنه سيظهر في آخر الزمان ليملاً الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً.. أليس هذا منكم إيمان بخرافة - على حدّ تعبير بعضهم -، وماهي الحكمة من غيبة إمام مع حاجة الناس إليه؟!؟!

والجواب: بعد أن ثبت عندنا وبشكل متواتر - وبما صدع به العشرات من علماء أهل السنة تقدّم ذكر اسمائهم - من أمر ولادته عليه السلام، وبما ثبت من غيبته عليه السلام، حسب المصادر السنّية التي تقدّم ذكرها ايضاً.. لا نجد ضرراً بأن تؤمن الشيعة بإمام غائب.. فأين الضير في هذه القضية؟! هل الضير في الإيمان بإمامة إمام يطول عمره على غير المتعارف؟ أم الضير أنه كيف يكون إماماً وغائباً؟! أم هي الطبيعة البشرية التي تعادي كلّ ما تجهله ولا تدرك مغزاه؟!!

أمّا عن طول عمره المبارك فيكفي أن نردّ هذه الشبهة ببقاء نبيّ الله الخضر حيّاً إلى الآن بشهادة أكثر علماء أهل السنة<sup>(١)</sup>. بل ببقاء عدو الله الدجال حيّاً إلى الآن، حسب روايات أهل السنة وأقوالهم أنفسهم<sup>(٢)</sup>،

(١) انظر: تهذيب الأسماء واللغات - للنووي - ١: ١٧٧.

(٢) انظر مجموع الفتاوى - لابن تيمية - ٤: ٤٣٠.

بل بقاء الشيطان حيّاً إلى يوم يبعثون!!

فأيّ ضمير - بعد هذا - أن يكون ولي الله الإمام المهدي عليه السلام حيّاً كذلك إلى وقتنا هذا وأن يبقى إلى ما شاء الله؟!!

وأما شبهة كيف يكون إماماً وغائباً، فجوابها: أنّ غيبة إمامنا المهدي عليه السلام ليست بدعاً من غيبات أنبياء الله وأوليائه، فهاهو نبيّ الله موسى عليه السلام يغيب عن قومه أربعين ليلةً ثمّ يعود إليهم، قال تعالى: ﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلةً وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلةً﴾ وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ﴿<sup>(١)</sup>﴾.

وهاهو نبيّ الله يونس عليه السلام يغيب عن قومه ثمّ يعود إليهم.. قال تعالى: ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ فاستجبنا له ونجيناها من الغم وكذلك ننجي المؤمنين ﴿<sup>(٢)</sup>﴾.

فهؤلاء الأنبياء كانوا في مقام النبوة وغابوا عن قومهم، فأيّ ضمير أن يغيب الإمام المهدي عليه السلام عن قومه أيضاً وهو في مقام الإمامة؟!؟! قد يقول البعض: أنّ غياب الإمام المهدي مخالف للطف وحاجة الناس إليه، وأنتم تقولون بأنّ الإمامة لطف؟!!

نقول: كذلك النبوة هي لطف أيضاً، ومع ذلك حصلت هذه

(١) سورة الأعراف: ١٤٢.

(٢) سورة الأنبياء: ٨٧، ٨٨.

الغيبات من هؤلاء الأنبياء عن قومهم، بل حصلت عند غياب بعضهم - كموسى عليه السلام - أمور خطيرة جداً، وهي عبادة الناس للعجل، قال تعالى: ﴿وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعَجَلِ مَنْ بَعْدَهُ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.. وهنا نسأل: هل كان الله عز وجل يعلم حين استدعى نبيه موسى عليه السلام للمناجاة وغيبه عن قومه أن قومه سيعبدون العجل من بعده أو لا؟!!

فإن قلتم إنه لا يعلم فقد كفرتم، وإن قلتم هو يعلم فهذا معناه لا توجد منافاة بين اللطف وغيبة النبي أو الإمام عن قومه؟!!

فإن قال قائل: إن موسى عليه السلام قد أخلف على قومه أخاه هارون ولم يتركهم هملاً؟!!

قلنا: كذلك إمامنا المهدي عليه السلام قد أخلف سفراءه الخاصين به في فترة غيبته الصغرى، ثم أخلف سفراءه العاميين، وهم الفقهاء العدول، في فترة غيبته الكبرى، ولم يترك أمر الأمة هملاً من بعده.. فاللطف من هذه الناحية لم ينقطع تماماً.. وبالتالي لا معنى لهذا الإشكال الذي يهرف به البعض من غير تحصيل!!

فإن قال قائل: ولكن غيبة الإمام المهدي قد طال أمدها، خلاف غيبات أنبياء الله الوارد ذكرهم؟!!

قلنا: طول غيبته عليه السلام مشكلتها ليست عند الإمام المهدي عليه السلام بل مشكلتها هي عند الأمة نفسها، فمتى ما كانت الأمة مؤهلة لأن

(١) سورة البقرة: ٥١.

يحكمها إمام من أئمة أهل البيت عليهم السلام سيخرج هذا الإمام إليها ويجعل دنياها في أبهى صورها.. وهذا المعنى يحتاج إلى شيء من البيان والتوضيح، فنقول: إنّ الأمة لم تحسن التعامل مع أئمة أهل البيت عليهم السلام بالشكل المطلوب، فهي قامت بإقصاء الإمام الأوّل - أمير المؤمنين عليه السلام - لمدة خمسة وعشرين عاماً عن ممارسة دوره الفعليّ في قيادة الأمة، وذلك بعد أن تحايلت في الاستيلاء على منصبه الذي جعله الله له من منصب الخلافة بمقتضى هذا النصّ الصحيح الصريح في حديث الثقلين: «إني تارك فيكم خليفين: كتاب الله... وعترتي أهل بيتي»، وغيره من النصوص الصريحة والتفاف بعض الصحابة عليها، الذين سارعوا إلى تنصيب خليفة لهم في سقيفة بني ساعدة والنبويّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لم يدفن بعد، ثمّ قاموا بالهجوم على داره وأرادوا إحراقه على من فيه وكانت فيه البضعة الزهراء عليها السلام - كما يذكر ذلك بسند صحيح ابن شيبه في مصنفه<sup>(١)</sup>، وثمّ عند تسنمه المسؤولية - بعد مدّة الاقصاء هذه - قام عليه الناكثون والقاسطون والمارقون حتّى اغتالوه صدّقاً شهيداً في محرابه وهو ساجداً يصليّ!!

ثمّ جاء بعده ابنه الحسن عليه السلام وهو - كذلك - لاقى من خذلان الأمة الذي لاقاه حتّى اضطرّ إلى أن يسلمها إلى الدّ أعداء الدين وهو معاوية بن أبي سفيان، قائد الفئة الباغية بنصّ حديث رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم المعروف عن عمار بن ياسر بأنّه تقتله الفئة الباغية الداعية إلى النار

(١) مصنف ابن أبي شيبه: ٥٧٩.

وقد قتل عمار جيش معاوية في صفين<sup>(١)</sup>.. ولم يتركوا الإمام الحسن عليه السلام حتى سقوه السم على يد زوجته جعدة بتحريض من معاوية، كما يذكر ذلك صريحا ابن عبد البر في كتابه «الاستيعاب»<sup>(٢)</sup>.

أمّا الإمام الحسين عليه السلام ففاجعته أشهر من تذكر أو يشار إليها، وقد بكت عليه السماوات والأرض وبكاه حتى محجر الحجر، كما يذكر ذلك السيوطي وغيره.

وأحاديث غدر الأمة وقتلها لهؤلاء الأئمة واضحة وصریحة ولا يمكن التحايل أو التلاعب بها بأيّ حال من الأحوال..

فقد روى الحاكم في مستدرکه بسند صحيح عن أبي ادريس الأودي عن عليّ عليه السلام أنه قال: «إنّ مما عهد إليّ النبيّ صلى الله عليه وسلم أنّ الأمة ستغدر بي بعده»<sup>(٣)</sup>.

وعن البوصيري في «تحاف الخيرة المهرة» في حديث جبرئيل للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بحقّ الحسين عليه السلام: «إنّ أمتك ستقتله». قال البوصيري: رواه عبد بن حميد بسند صحيح<sup>(٤)</sup>.

نقول: هذا هو شأن ثلاثة من كبار أئمة أهل البيت عليهم السلام وهم قد قلّدهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أوسمة الفضل ما لم يقلد غيرهم، ومع ذلك قد لقوا من هذه الأمة ما لقوه، فما بالك بمن هم دونهم من أئمة

(١) راجع: تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير - لابن حجر العسقلاني - ٤: ٨٤.

(٢) الاستيعاب ١: ٢٣٣.

(٣) المستدرک على الصحيحين ٣: ١٥٠، صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٤) تحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة: ٢٣٨.

العترة الطاهرة من الذين عانوا من الاضطهاد والتضييق ما عانوه حتى قضوا حياتهم بين:

- مراقب مضطهد، كالسجاد والباقر والصادق عليهم السلام.

- ومسجون معذب، كالإمام الكاظم عليه السلام.

- ومسؤول فاقد الصلاحيات كالرضا عليه السلام.

- ومنفي محتجز، كالجواد والهادي والعسكري عليهم السلام فماذا تتوقع

أن يكون مصير الإمام المهدي عليه السلام فيما لو بقي بين ظهراي هذه الأمة التي لم تتوان عن قتل وغدر واضطهاد أهل بيت نبينا صلوات الله عليهم ما استطاعوا؟!!!!

من الواضح جداً أنّ استمرار حضور الامام المهدي عليه السلام بين ظهراي هذه الأمة معناه أن ينتهي إلى ما انتهى إليه آباؤه الطاهرين من القتل أو الحبس أو النفي والاضطهاد.. ومن هنا اقتضت حكمة المولى سبحانه تغييب هذا الإمام الهادي المهدي حتى تصل الأمة الى درجة تعرف معها أهمية وجود إمام من أئمة أهل البيت عليهم السلام بين ظهرايها فتلتف حوله وتمثل لأوامره ولا تفرط فيه كما حصل في حق آباءه من قبل، ولكن متى يكون ذلك؟!!!

الجواب: يكون ذلك بعد أن يفشل الجميع في قيادة الأمة، وبعد أن تتوالى عليها صنوف الخيبة والحرمان نتيجة لتحكيمها تيارات الضلال من ملوك فاشلين ورؤوساء انتهازيين وقوميين كافرين وداعشيين متطرفين وغيرهم، فيطلبونه حينئذ لينقذهم مما فيه من محن وعذاب..

تقول الرواية عن أم سلمة: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : «يكون اختلاف عند موت خليفة، فيخرج من بني هاشم فيأتي مكة، فيستخرجه الناس من بيته بين الركن والمقام، فيجهز إليه جيش من الشام حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم، فيأتيه عصائب العراق وأبدال الشام، وينشأ رجل بالشام أخواله من كلب، فيجهز إليه جيش فيهزمهم الله فتكون الدائرة عليهم، فذلك يوم كلب، الخائب من خاب من غنيمة كلب، فيستفتح الكنوز، ويقسم الأموال، ويلقي الإسلام بجرانه إلى الأرض، فيعيشون بذلك سبع سنين». أو قال: «تسع».

قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح<sup>(١)</sup>.

فلاحظ قول النبي (عليه أفضل الصلاة والسلام): (فيستخرجه الناس من بيته).. أي أن الناس تصل إلى مرحلة من الاختلاف ما أن تسمع بخروجه، كما تقول الرواية، حتى تأتي بنفسها إليه تطلبه وتستخرجه من بيته ليحكم فيها بالحق<sup>(٢)</sup>..

يقول السفاريني الحنبلي في كتابه «لوامع الأنوار البهية» عن دولة الإمام المهدي عليه السلام: ((يعمل بسنة النبي صلى الله عليه وسلم لا يوقظ نائماً، ويقا تل على السنة لا يترك سنة إلا أقامها ولا بدعة إلا رفعها،

(١) مجمع الزوائد ٧: ٣١٥.

(٢) لاحظوا هذه الرواية الصحيحة التي تقدم ذكرها كيف تدحض دعوى البعض بأن المهدي يولد آخر الزمان، فكل الروايات السننية تذكر هذه العبارات: (يخرج في آخر أمتي...)، (فيستخرجه الناس من بيته... ) ونحوها، ولم نجد رواية صحيحة واحدة تشير إلى ولادته في آخر الزمان، بل كلها تشير إلى خروجه دون ولادته: فدعوى الولادة آخر الزمان دعوى بلا دليل وهي تتناقض مع النصوص النبوية المتواترة كما تقدم بيانه.

يقوم بالدين آخر الزمان كما قام به النبي صلى الله عليه وسلم وأوله، يملك الدنيا كلها كما ملك ذو القرنين وسليمان بن داود عليهما السلام، يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويرد إلى المسلمين ألفتهم ونعمتهم، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، يحثو المال حثوا ولا يعده عداً، يقسم المال صحاحاً بالسوية، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض والطير في الجو والوحش في القفر والحيتان في البحر<sup>(١)</sup>. انتهى

اللهم نسألك أن تعجل ظهور وليك الإمام المهدي عليه السلام، حتى تحيي به ما اندرس من سنة نبيك صلى الله عليه وآله ومعالم دينك، وتميت به ما انتشر من البدع في شريعتك، وأن تجعلنا من أنصاره وأعوانه والممثلين لأوامره، إنك رؤوف حميد مجيد.

(١) لوامع الأنوار البهية ٢: ٧٥، ٧٦.. وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ٤: ٣٨.

## بقي شيء:

بقي شيء نشير إليه ونختتم هذا البحث الذي بإيدنا فقد يأتينا البعض بدعوى أنّ الوارد في صحيح مسلم هو التمسك بالكتاب والوصية بالعترة دون التمسك بها، حيث جاء فيه: (أنا تاركٌ فيكم ثقلين: أولهما: كتابُ الله، فيه الهدى والنور؛ فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به، فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه، ثم قال: وأهلُ بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي) (١).

نقول: مع أنّ البعض استفاد بشكل واضح وصريح من حديث مسلم لزوم التمسك بأهل البيت عليهم السلام كما أوجب التمسك بالكتاب، لمحلّ العطف في الكلام وتكرار قوله: (أذكركم الله في أهل بيتي)، فيما نقلناه من كلمات العلامة الدهلوي سابقاً، حيث قال في «أشعة اللمعات في شرح المشكاة»: ((لقد كرّر هذه الكلمة للمبالغة والتوكيد، وهي إشارة إلى وجوب أخذ السنّة منهم، كما أنّ الأولى إشارة إلى الأخذ بما في الكتاب. فعلى جميع الذين آمنوا أن يكونوا مطيعين لأهل بيت النبي ﷺ)) (٢). انتهى

وفيما أفاده العلامة الزرقاني من نقله لكلام الحكيم الترمذي عند شرحه لهذا الحديث الوارد في مسلم والذي جاء فيه: ((قال الحكيم الترمذي: حضّ على التمسك بهم، لأنّ الأمر لهم معاينة، فهم أبعد

(١) صحيح مسلم ٤: ١٨٧٣، برقم ٢٤٠٨.

(٢) أشعة اللمعات في شرح المشكاة ٤: ٦٧٧.

عن المحنة))<sup>(١)</sup>.

ومع ذلك نقول: الرواية الواردة في صحيح مسلم لا يمكن الاحتجاج بها في المقام لسببين:  
الأوّل: اختصارها.

الثاني: عدم ضبط راويها.

فقد صرّح زيد بن أرقم - راوي الحديث - أنّه قد كبر سنّه ونسي ولم يعد ضبطه تاماً فيما ينقله، حيث جاء عنه في عبارة صريحة: «والله لقد كبرت سني وقدم عهدي ونسيت بعض الذي أعني من رسول الله ﷺ»<sup>(٢)</sup>.

ومن هنا قال الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ في «اللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية» عن هذه الرواية: ((هذا الحديث حصل فيه اختصار في الروايات وزيد بن أرقم رضي الله عنه ذكر بأنه اختصر الكلام - كما في صحيح مسلم - وأنّه لم يسقه بكامله لشيء حصل له أو لعدم ضبطه لذلك))<sup>(٣)</sup>. انتهى

وقد صرّح علماء الحديث من أهل السنّة بأنّ الحديث الصحيح لذاته الذي يمكن الاعتماد والتعويل عليه هو الحديث الذي يرويه عدل تام الضبط<sup>(٤)</sup>. ومن هنا لا يمكن التعويل على رواية صحيح مسلم والأخذ بمضمونها فقط - فيما لو سلمنا لأصحاب هذا القول

(١) شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية ٩: ٢٤٦.

(٢) صحيح مسلم ٤: ١٨٧٣، برقم ٢٤٠٨.

(٣) اللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية ٢: ٤٦١.

(٤) مصطلح الحديث، للعلامة العثيمين: ١٣.

قولهم - وترك مضامين الأحاديث الأخرى الصريحة الواضحة في لزوم التمسك والأخذ وإتباع أهل البيت عليهم السلام.

وأيضاً قد يشكل البعض بأنّ الوارد هو لزوم التمسك والأخذ بالكتاب والسنة دون التمسك بالكتاب والعترة، كما جاء في هذا الحديث الذي يقول: «قد تركتُ فيكم بعدي ما إن أخذتم، لم تضلُّوا: كتاب الله، وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم»<sup>(١)</sup>.

نقول: حديث التمسك بالكتاب والسنة حديث ضعيف بجميع طرقه، ولا يوجد له سند صحيح واحد يعتد به، فكلّ رواته مقدوح فيهم لمن تتبع طرقه، ومن هنا أعرض عنه جهابذة الحديث من أهل السنة، فلا تجد له أيّ ذكر عند أصحاب الصحاح الستة المعروفة عند أهل السنة، كما لم يخرج أحد من أصحاب المسانيد المعتمدة كمسند أحمد بن حنبل وغيره.

خلاف حديث الثقلين (الكتاب والعترة) الذي رواه: مسلم، و أحمد بن حنبل، والترمذي، وأبو داود، وابن ماجه، والنسائي، والحاكم، والطبري، والطبراني، والطحاوي، ومئات غيرهم من الأئمة والحفاظ على مرّ القرون المختلفة، يروونه عن العشرات من الصحابة بطرق متعددة، يجزم المنصف معها بتواتر الحديث والاطمئنان إلى صدوره وثبوتها، وقد صحح جملة من طرقه الكثيرة جهابذة الحديث عند أهل السنة، مرّ التعرّض لذكر بعضهم.

(١) تأريخ أصبهان ١: ١٣٨.

وعليه لا يقوى حديث (كتاب الله وسنتي) الضعيف على معارضة حديث (كتاب الله وعترتي) الصحيح المتواتر.

بل حتى لو سلمنا بصحة حديث (كتاب الله وسنتي)، فهو يمكن الجمع بينه وبين حديث (كتاب الله وعترتي) بشكل عرفي سليم يرفع التعارض بينها تماماً، وذلك بأن يقال: إن النبي ﷺ أمرنا بالتمسك بالكتاب والعترة والسنة، ومقتضى أمره هذا أن يكون أخذ علوم القرآن وسنته الصحيحة من خلال عترته الطاهرة، وهو ما فهمه بعض علماء أهل السنة أيضاً حين أرادوا الجمع بين هذه الأحاديث، قال ابن حجر الهيثمي في الصواعق المحرقة: ((وفي رواية صحيحة: «إني تارك فيكم أمرين، لن تضلُّوا إن تبعتموهما، وهما: كتاب الله، وأهل بيتي عترتي».. وفي رواية: (كتاب الله، وسنتي) وهي المراد من الأحاديث المقتصرة على الكتاب؛ لأنَّ السنة مبيّنة له، فأغنى ذكره عن ذكرها، والحاصل: أنَّ الحثَّ وقع على التمسك بالكتاب، وبالسنة، وبالعلماء بهما من أهل البيت))<sup>(١)</sup>. انتهى

وبذلك يثبت المطلوب والحمد لله رب العالمين



(١) الصواعق المحرقة ٢: ٤٣٩.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## فهرس الموضوعات

- ٤.....تمهيد
- ٤.....تواتر حديث الفرقة الناجية
- ٥.....الردّ على إشكالات السند والمتن والدلالة
- ٧.....حديث الفرقة الناجية يعطي الحصانة للأمة من تكفير بعضها
- ٩.....الكثرة مذمومة غالباً والقلّة ممدوحة في القرآن الكريم
- ١٢.....نقطتان مهمتان قبل الدخول في البحث
- ١٣.....البحث يشتمل على ثلاث خطوات فقط
- ١٤.....الخطوة الأولى من البحث
- ١٤.....هل ثمة بيانات نبوية ترشدنا إلى الفرقة الناجية
- ١٥.....تفسير الفرقة الناجية بـ (الجماعة) لا يحلّ النزاع
- ١٥.....الجماعة لها عدّة بيانات فأبيّ واحد نأخذ به
- ١٨.....فقرة (ما أنا عليه وأصحابي) لا تحلّ النزاع أيضاً
- ١٩.....الحلّ هو في حديث الثقلين: الكتاب والعترة
- ٢١.....تواتر حديث الثقلين عند الفريقين
- ٢٤.....حديث الثقلين بلفظ (التمسك) و(الإتباع) و(الأخذ)
- ٢٧.....كلمات علماء أهل السنّة في شرح حديث الثقلين
- ٣٠.....من هي العترة؟!.....
- ٣٢.....من هم أهل بيت النبي ﷺ؟!.....
- ٣٥.....إثبات بقية العترة إلى يوم القيامة

- الخطوة الثانية من البحث..... ٤١
- شهادة علماء أهل السنة للشيعة بأنهم أتباع العترة..... ٤١
- دعوى أن أهل السنة يتابعون العترة..... ٤٥
- الشيعة هم الموالون للعترة وهم صادقون في النقل عنها..... ٤٩
- شبهة أن الشيعة تقول بتحريف القرآن..... ٥١
- الخطوة الثالثة من البحث..... ٥٦
- الشيعة عدّة فرق فكيف نعرف الفرقة الناجية منها؟..... ٥٦
- الجمع بين حديث الثقلين وحديث الخلفاء اثنا عشر يعطينا الحل..... ٥٧
- دعوى أن الأئمة لم يحكموا فلا ينطبق عليهم حديث الخلفاء اثنا عشر..... ٥٨
- عزّة الإسلام بوجود الأئمة عليهم السلام..... ٦٠
- إشكال (كلّهم تجتمع عليه الأئمة)..... ٦٧
- إثبات أسماء الخلفاء الاثني عشر من خلال دليل النقل والعقل واجماع المسلمين..... ٦٩
- الطريق الأوّل: الدليل النقلى: النصوص النبوية التي ذكرت اسمائهم..... ٧٠
- سبب انحسار هذه النصوص عن كتب الحديث المعروفة عن أهل السنّة..... ٨١
- الطريق الثاني: الدليل العقلي على تعيين اسمائهم..... ٩٠
- الطريق الثالث: إجماع المسلمين على إمامتهم..... ٩٥
- كلمات علماء أهل السنة في أئمة أهل البيت عليهم السلام..... ٩٦
- الإمام عليّ بن الحسين السجاد عليه السلام:..... ٩٧
- الإمام محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام:..... ٩٨
- الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام:..... ١٠٠
- الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام:..... ١٠١

- الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام : ..... ١٠٣
- الإمام محمّد بن عليّ الجواد عليه السلام : ..... ١٠٥
- الإمام عليّ بن محمّد الهادي عليه السلام : ..... ١٠٦
- الإمام الحسن بن عليّ العسكري عليه السلام : ..... ١٠٨
- أئمة أهل البيت عليهم السلام هم صفوة الصفوة من البشر ..... ١١٠
- الإمام الثاني عشر (المهدي عليه السلام) : ..... ١١٢
- اثبات ولادة المهدي عليه السلام ..... ١١٢
- اعتراف علماء أهل السنّة بولادة الإمام المهدي عليه السلام ..... ١١٦
- شبهة وجوابها: كيف يكون إماماً وغائباً ..... ١١٨
- الحكمة من غيبة الإمام المهدي عليه السلام ..... ١٢٦
- الغيبة لا تنافي اللطف في الإمامة ..... ١٢٧
- طول الغيبة مشكلتها عند الأئمّة وليست عند الإمام عليه السلام ..... ١٢٨
- الأئمّة أساءت التعامل مع أئمة أهل البيت عليهم السلام ..... ١٢٩
- متى يظهر الإمام المهدي عليه السلام ..... ١٣١
- محاولة الاحتجاج بحديث صحيح مسلم لردّ لزوم التمسك بالعترة ..... ١٣٤
- حديث صحيح مسلم لا يصحّ الاحتجاج به لسببين ..... ١٣٥
- محاولة الاعتراض بحديث التمسك بالكتاب والسنّة ..... ١٣٦
- حديث التمسك بالكتاب والسنّة ضعيف بجميع طرقه ..... ١٣٦
- إمكان الجمع بين حديث الثقلين وحديث التمسك بالكتاب والسنّة ..... ١٣٧

